جرائم أمريكا والغرب

٢

العقل الإسلامي

على الطريقة الأمريكية

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

العلاقة بين الإسلام والغرب، الإسلام وأمريكا، صراع الحضارات، تعاون الحضارات، الإسلام والعنف، الاعتداءات الأمريكية على عدد من الدول العربية والإسلامية، هذه القضايا وغيرها، قضايا مهمة ومطروحة على الساحة العربية والإسلامية، السياسية والفكرية، الحكومية والشعبية، وهي ليست جديدة، بل هي القضايا الأهم منذ عشرات السنين لأسباب متعددة مرتبطة بالمصالح البترولية ومرتبطة أكثر بالدعم الغربي والأمريكي المستمر – والظالم – للكيان الصهيوني، وترتفع نبرة الاهتمام عادة مع ارتفاع ممارسات الظلم على الشعب الفلسطيني، أو كلما استعملت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن الدولي أو قدمت المزيد من الدعم العسكري والمالي والسياسي لإسرائيل، أو كلما ناشدتها وطالبتها الدول العربية ذات العلاقة المتميزة معها باتخاذ موقف متوازن في الصراع العربي الصهيوني وتجاهلت الأخيرة هذا الطلب.

على أنه في غضون السنوات الأخيرة، تصاعدت بصورة كبيرة مسألة العلاقة مع أمريكا والغرب، بمناسبتين:

الأولى: حرب الخليج الثانية، وما حدث فيها وبعدها، وحجم المعاناة والخسائر والموت الذي لاقاه الشعب العراقي منذ ١٩٩١ م حتى الآن، الأمر الذي أحدث تأثيرا هائلا على الوجدان العربي والإسلامي تجاه الولايات المتحدة والغرب.

والمناسبة الثانية: هي سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، بما ترتب عليه من انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة على العالم، وهذا معناه ضرورة مناقشة قضية العلاقة

معها، لأنها أصبحت الأقوى وزعيمة العالم بلا منازع، أي لا يمكن تجاهلها ولا تجاهل نفوذها، ولا تجاهل التقاطع الحتمي مع آرائها ومصالحها خصوصا مع تصاعد حدة الحديث عن صراع الحضارات واعتبار الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة القادرة على تشكيل تهديد جدي للعصر الأمريكي والعولمة «هذا في رأي الأمريكيين خصوصا صامويل هانتنجتون» ولم يخلُ الأمر بالطبع من تصريحات هنا أو هناك « في الغرب وأمريكا» يعتبرون الإسلام هو العدو المرشح، وأن المسلمين والعرب هم مصدر الإرهاب.

وفي الحقيقة، إن ذلك كله كان يشكل جزءا كبيرا من الصورة منذ عشر سنوات على الأقل، وكان قبلها يشكل جزءا لا بأس به من الصورة، ولكن بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أصبح هذا الأمر يشكل الصورة كلها تقريبا، ومع اتهام جماعة بن لادن «تنظيم القاعدة »: وجماعات ومنظمات إسلامية أخرى، ثم دول عربية وإسلامية بأنها ترعى الإرهاب ومن ثم إعلان أنها مستهدفة للعقاب الأمريكي، وتزامن هذا بدءا من ٧ أكتوبر ٢٠٠١ م بعدوان واسع النطاق على أفغانستان – طال بالضرورة المدنيين والمرافق – فإننا كعرب ومسلمين أصبحنا جميعا في فوهة المدفع، ثم الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية بدءا من يوم ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢م.

وهكذا فإن مناقشة العلاقة بين الإسلام والغرب، الإسلام وأمريكا – موضوع قديم، ولكنه أصبح الآن الموضوع الأهم.

وفي الحقيقة، إنني من خلال تأليف حوالي ٧٠ كتابا سياسي في مختلف قضايا الواقع السياسي الإسلامي والعربي المعاصر، وآلاف المقالات في عشرات الصحف، قد اهتممت مبكرا بقضية العلاقة بين الإسلام والغرب، والإسلام وأمريكا تحديدا؛ فأصدرت ثلاثة كتب في الموضوع مباشرة، هي على التوالي: **الإسلام وأمريكا حوار**

أد مواجهة ١٩٩٣م، المواجهة بين الإسلام والغرب ١٩٩٦م، جرائم الأمريكان في هذا الزمان ١٩٩٩م، وقد تطرقت في تلك الكتب الثلاثة، إلى تاريخ الصراع الحضاري الممتد في الزمان والمكان بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وطبيعة التركيب القيمي للغرب وأمريكا، وعدم صلاحية الحضارة الغربية وأمريكا لقيادة العالم، ومظاهر العنصرية الغربية والأمريكية ضد العرب والمسلمين، والصهيونية وإسرائيل باعتبارهما إفرازا طبيعيا للحضارة الغربية ومؤامرة غربية على العالم العربي والإسلامي قبل أن تكون مؤامرة يهودية.. وغيرها من القضايا ذات الصلة بالموضوع، ولا شك أن الكتابة في هذا الصدد كانت جزءا من اشتباكي المستمر مع القضايا الحية ومناقشتها بمنظور إسلامي معاصر، وقد توقعت في تلك الكتب الثلاثة وكثير من المقالات أن تحدث عمليات إرهابية خطيرة ضد أمريكا، وأنه يمكن للإنسان أن يكتشف الوسائل القادرة على إنزال الألم بأي قوة مهما كانت سطوتها وإمكانياتها، من خلال مفهوم حرب الفيل والنمل وقلت: «نعم أمريكا أقوى دولة في العالم، وهي تمتلك المال والسلاح والنفوذ السياسي، ولكنها لا تستطيع أن تحمي كل مصالحها في العالم إلا بأعباء ثقيلة، لا تستطيع احتمالها طويلا، وكذلك إسرائيل التي تستمد قوتها من قوة أمريكا ، أما نحن فنمتلك القدرة على الضرب في أماكن غير متوقعة ويمكننا أن نسبب لأمريكا صداعا مستمرا وخسائر باهظة، والأمر أشبه بالحرب بين الفيل والنمل، فقوة الفيل وكبر حجمه هي نفسها عناصر ضعفه، وصغر حجم النمل وكثرته واستعداده للموت هي عناصر قوته « كتاب جرائم الأمريكان في هذا الزمان» [1].

وقلت أيضا: «إن مواجهة العدو بسلاح الاستشهاد مثلا هي مواجهة ناجحة

(١) الكتاب صادر عام ١٩٩٩م.

obeikan.com

وهو سلاح لا يمكن القضاء عليه أو إلغاء مفعوله ، مهما كانت قوة العدو واستحكاماته، وأذكر أنه عندما قام المجاهدون في لبنان بتنفيذ عملية ضد قوات مشاة البحرية الأمريكية «المارينز» في بيروت في ٢٣/ ١٠/ ١٩٨٣ م وأدت العملية إلى قتل وإصابة مئات الأمريكيين، وقف الرئيس الأمريكي وقتها رونالدريجان – أمام الكونجرس عندما سئل عن سبب حدوث ذلك، وأين الاستخبارات والأقمار الصناعية والاستحكامات فقال: « إنه لا شيء يفيد في مواجهة تلك العمليات، لأن جميع الاستحكامات العسكرية والاستخبارات في العالم قائمة على عنصر خوف المهاجم من الموت، فإذا كان المهاجم لا يخشى الموت، بل يحرص عليه ويصر عليه ويريده مقدما فإنه لا حل هناك».

وهكذا لخص ريجان جوهر المسألة وحقيقتها!!

وقد جاءت أحداث ١١ سبتمبر ، لتؤكد هذا الرأي وتلك لقراءة المستقبلية التي توقعتها، وليس هذا فخرا بمقدار ما هو ثقة في صحة المنهج الذي استخدمته في تحليل طبيعة الصراع وشكله ومستقبله وأدواته وآلياته.

ويمكننا أن نؤكد من جديد، أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا وأنه مهما كانت قوة الولايات المتحدة الأمريكية باستخباراتها واستحكاماتها ونفوذها العسكري والأمني والاقتصادي والسياسي والإعلامي، فإن مجموعة صغيرة قادرة على إنزال الألم والأذى الكبير بها.

وفي الحقيقة ، فإن خطورة ما حدث في ١١ سبتمبر في نيويورك وواشنطن من تدمير لمبنى البنتاجون – والبرجين التابعين لمركز التجارة العالمي «رمز القوة والمال» ليس فقط في كمية الخسائر المادية الباهظة التي نتجت عن العملية، بل في التداعيات النفسية والسياسية المترتبة، فمن ناحية ، فقد سقطت نظرية الأمن الأمريكي المطلق

إلى الأبد، وأحس الأمريكيون لأول مرة منذ نهاية الحرب الأهلية الأمريكية وخروج الاحتلال الإنجليزي، أي منذ ما يزيد على قرنين من الزمان، أنهم مهددون داخل بلادهم وأن الموت يمكن أن يصل إليهم في أعلى مبنى وأقوى مكان عندهم.

ليس هذا فحسب، بل إن ظهور حالات مرض الجمرة الخبيثة في بعض الولايات جعل حالة من الذعر والرعب تسود الأمريكيين ؛ لأنهم أدركوا أن حربا جرثومية قد بدأت ضدهم، وأن من الممكن لتنظيم القاعدة أو غيره، بن لادن أو غيره أن يصل إليهم بجراثيم وأوبئة وموت مؤكد داخل بلادهم ، وأنهم أمام عدو صعب المراس قادر على تنفيذ تهديداته، وهكذا أصبحنا أمام قطب جديد في السياسة الدولية وبعد أن كان الحديث عن عالم أحادي القطبية، وانفراد أمريكي بالهيمنة في العالم، أصبح الحديث يدور عن تحالف دولي ضد القطب الجديد المسمى بالإرهاب.

ولا شك أن هذا القطب الجديد يمكن أن يتحول من الإرهاب إلى حركة عالمية مناهضة الهيمنة الأمريكية، وأن يتطور إلى تحالف شعبي ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وأن يضم كل المستضعفين في العالم، وليس المسلمين أو الشعوب الإسلامية فقط، أو جماعات بن لادن والمتعاطفين معه فقط.. وهذا تطور خطير جديد يمكن أن يحدث تحولا هائلا في السياسة الدولية.

أحداث ١١ سبتمبر، ثم غزو أفغانستان والعدوان الصهيوني على الضفة الغربية، وضرب المدنيين بها، ثم الحديث عن إمكانية غزو وضرب بلاد عربية أخرى أو إسلامية بدعوى محاربة الإرهاب وتسريب الحديث والمعلومات عن إمكانية غزوه وضرب كل من العراق – إيران – سوريا – لبنان – السودان – بل واتهام مصر بتشجيع بن لادن على حد قول صحيفة الواشنطن بوست التي رأت أن كلا من الرئيس حسني مبارك والسيد عمرو موسى أمين جامعة الدول العربية يدعمان

الموقف السياسي لبن لادن. أو أنهما «أي الرئيس وعمرو موسى» يقولان: إن السياسات الأمريكية غير العادلة في العراق وإسرائيل تبرر أعمال بن لادن ضد أمريكا.

التغيرات المحتملة في العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر ثم غزو أفغانستان ثم الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية أكثر من أن تحصى، ولها تأثيرات كبيرة على كل القضايا المطروحة والأفكار أيضا ، فلا شك أن تغيرات حادة في معادلة الصراع العربي الصهيوني ستحدث وكذا تغيرات على مستقبل الحركة الإسلامية، ثم شكل العلاقة بين الإسلام والغرب، وتغيرات ربما غير متوقعة ولا محسوبة على شكل علاقات الشعوب بالحكومات، والدول ببعضها البعض، بل وعلى المستوى الداخلي الأمريكي ذاته.

والمسألة بالطبع تستحق التأمل والتفكير، حتى ندرك السلبي من الإيجابي فيها، فنستعد لتلافي السلبيات، والاستفادة من الإيجابيات ورسم السياسة الصحيحة لبلادنا في هذا العالم الذي تغير وسيتغير كثيرا منذ ١١ سبتمبر.

■ ■ ■

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

حادث الثلاثاء الرهيب

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

منيل في تاريخ العالم وتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.. الحادث الأكبر من نوعه، كيف تم؟.. وهل يمكن اتخاذ احتياطات مستقبلية لمنع مثل هذه العمليات؟.. وما هو أثر ذلك الحادث الضخم جدا على شكل العالم وعلاقات وسياسات الولايات المتحدة الأمريكية المستقبلية وعلى أوضاع الصراع في الشرق الأوسط؟.. وما دلالات الحدث؟.. وغيرها من الأسئلة التي طرحت نفسها بقوة على العقل السياسي والاستراتيجي في كل مكان.

بعيدا عن الفرح المشروع، والشماتة الطبيعية.. وعن مسائل الإدانة والشجب والتنديد التي صدرت هنا وهناك وعن الدموع الحقيقية أو دموع التماسيح التي سالت بغزارة على وجنات هذا وذاك، فإن المسألة تستحق التأمل رغم أن هذا التأمل المطلوب شيء صعب جدا مع ضخامة الحدث وسخونة الموقف، ودراماتيكية الأحداث والوقائع.

في يوم الثلاثاء الحزين أو العظيم على حسب موقفك!.. في صباح ذلك اليوم الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١ م – الصباح بتوقيت واشنطن ونيويورك وبعد الظهيرة بتوقيت الشرق الأوسط اهتز العالم بقوة.. ذلك أن عددا من الرجال قرروا أن يموتوا ولكن بعد أن يوقعوا بالولايات المتحدة الأمريكية أكبر ضربة من نوعها، ضربة تفوق نتائجها ماديا وبشريا حربا كاملة.. أو ربما عدة حروب خاضتها الولايات المتحدة هنا أو هناك.. قرر هؤلاء الرجال أن يلقنوا السيد الأمريكي المتغطرس درسا لن ينساه، كان منطق هؤلاء الرجال – أيًّا كانوا – أن الولايات المتحدة الأمريكية تمارس كل أشكال البلطجة والاستكبار في العالم، وتتسبب في آلام ضخمة لشعوب كثيرة.. يأتي على رأسها الشعب الفلسطيني الذي يعاني منذ عشرات السنين من حالة مستمرة من التشرد والموت والفقر والحاجة وفقدان

الوطن والأحبة على يد عصابات إسرائيل التي تؤيدها الولايات المتحدة الأمريكية وتعطيها السلاح اللازم للقتل، والمال اللازم لتمويل تلك الثكنة العسكرية المسماة إسرائيل لتعربد كما تشاء وتنزل الموت وتشيع الخوف بالعرب من حولها وبالفلسطينيين في قلبها، آلام ضخمة عانتها شعوب العراق وليبيا والسودان وإيران وأفغانستان وغيرها على يد السيد الأمريكي الذي تسبب مثلا في وفاة ما يزيد على المليون عراقي في الحرب والحصار والتلوث ونقص الأمصال والأدوية والغذاء والماء لمدة زادت على عشر سنوات بلا رحمة أو شفقة.

إنها أمريكا التي يزدحم ملفها من أول يوم بالقمع والدماء ، والتي لم تترك مكانا في آسيا وأفريقيا أو أمريكا اللاتينية إلا وارتكبت فيه عشرات المجازر والفظائع.

أمريكا التي قامت على إبادة شعب الهنود الحمر، ونمت على سواعد الاسترقاق الأسود، وهي التي لم تقبل حتى بالاعتذار عن الاسترقاق في مؤتمر أخير لم يمر على وقت الحادث إلا أيام قليلة، وصممت على ألا توصف إسرائيل بالعنصرية وإلا انسحبت معها من المؤتمر!!..

كان هؤلاء الرجال - حين عقدوا العزم على الانتقام للبشرية، وحجزوا التذاكر في رحلات الطيران الداخلي الأمريكي - يفكرون أيضا فيما آل إليه العالم من فقر وفوضى بسبب الهيمنة الأمريكية ، وما سوف يؤول إليه من حرمان اقتصادي واجتماعي بسبب العولمة والنهب والجات وسوق المال والبورصات ومراكز التجارة العالمية، فحددوا أهدافهم في رموز الهيمنة الاقتصادية، ورمز الرأسمالية الأمريكية المتوحشة، ومركز نهب العالم وامتصاص أرزاق الفقراء في كل مكان من العالم بألاعيب الاقتصاد الحر، إنه مركز التجارة العالمي في نيويورك.. ذلك الوحش - مصاص الدماء، والمرتفع في برجيه وعدة مبان ملحقة تدار منها عمليات نهب العالم

وقطع أرزاق العمال والفقراء ومص ثروات الشعوب، وكذا مبني وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون» الذي يمثل الذراع القوية لتحقيق الأهداف الأمريكية الظالمة، والقادرة على إنزال العقاب بمن يجرؤ على معارضة أمريكا أو يقول لها : لا.. إنه رمز القوة الأمريكية المتغطرسة ، والذي منه تدار عمليات قمع العالم والسيطرة عليه بالقوة ودعم إسرائيل.. إلخ، وكذا مبنى وزارة الخارجية الأمريكية الذي يجوب رجاله وسفراؤه العالم لنشر الخوف والفزع والحصول على التسهيلات، والتجسس على الآخرين، وتحديد الوسائل والطرق الكفيلة بإخضاع العالم، ثم إحدى مقرات الرئاسة الأمريكية التي تمثل رأس الذئب الجائع وذروة سنامه.. وهكذا انطلق الرجال!..

وركبوا الطائرات.. لم يكن معهم شيء إلا إرادتهم وربما سكاكين صغيرة حصلوا عليها من الطائرات نفسها أو حملوها معهم، أو قاطع أوراق صغير يمكن إخفاؤه، ونجحوا في السيطرة على طائرات واتجهوا بها بقوة لتصطدم بمبنى وزارة الدفاع وبمركز التجارة العالمي وبمنتجع رئاسي في كامب ديفيد.. إلخ.

وكانت الحصيلة انهيار المباني، وقتلى وجرحى بعشرات الألوف. وأيا كان الرأي في مشروعية القتل ؛ فإن الرسالة قد وصلت وتوجع الذئب، كما يتوجع ضحاياه، وبكى الأمريكيون كما يبكي الآخرون، الفلسطينيون، العراقيون وغيرهم.. وفرح من فرح هنا وهناك حين رأى الحزن مرتسما على وجوه الأمريكيين والرعب يسيطر عليهم لدرجة أن يختبئ الرئيس الأمريكي لمدة طويلة في مكان غير معلوم.. نعرف فيما بعد أنه كان قاعدة تحت الأرض خوفا من طائرة لم تكن قد وصلت بعد إلى هدفها!.. رأى الضحايا في كل مكان على شاشات التلفاز، الأمريكية يفرون في كل مكان مفزوعين مثلما يحدث للفلسطينيين يوميا.

الحادث أو الحوادث والوقائع تستحق التأمل، ومرة أخرى بعيدا عن الشماتة أو الفرح، أو سكب دموع الحزن، فما حدث قد حدث، وبداية ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر قوة في العالم وتمتلك أحدث الأسلحة والأجهزة الاستخباراتية والتجسسية من أقمار صناعية إلى أجهزة تجسس إلى حاسبات ضخمة، وتتجسس على كل العالم وعلى كل فرد في أمريكا وخارجها، ولها برامج تراقب أجهزة الهاتف العادي والمحمول، والمحادثات السلكية واللاسلكية، وعندها جهاز مخابرات جبار، يعمل به عشرات الألوف ويجند جواسيس في كل مكان ويخترق كل شيء وكل منظمة تقريبا علنية أو سرية، موالية أو معادية، وميزانيات ضخمة لتمويل كل ذلك، وهناك استحكامات ووسائل رقابة في الموانئ والمطارات والشوارع.. إلخ.. ومع هذا ورغم كل هذا نجح عدد من الرجال في تجاوز هذا كله ونفذوا ما أرادوا، وهذا يعني أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا، وأن الإرادة الإنسانية فوق كل شيء، وقادرة على تجاوز أعتى الاستحكامات والاستعدادات، ولعل هذه الخبرة الإنسانية تفتح باب الأمل أمام إمكانية الثورة على الظلم مهما كان قويًا، وتحدي الاستكبار مهما كان محصنًا، وهي خبرة عرفتها البشرية قديمًا وحديثًا وتأكدت من خلال العمليات الاستشهادية التي تم تنفيذها في فلسطين المحتلة، وقبلها في لبنان ضد مقر قيادة القوات الأمريكية «المارينز» والفرنسية ١٩٨٣، ثم مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور فيما بعد والعمليات ضد سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في نيروبي ودار السلام.

ولكن الجديد في تلك الخبرة أن ما حدث سابقا كان يتم في دول إفريقية أو في لبنان أو فلسطين المحتلة، وربما يزعم البعض أن ذلك يرجع إلى ضعف الأجهزة الأمنية في تلك الأماكن، وأن ذلك مستحيل في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها،

ولكن الحقيقة أن الاستحكامات الأمنية في إسرائيل قوية، وكذا فإن تنفيذ العمليات في إسرائيل والولايات المتحدة يعني أن من الممكن النجاح بالإرادة وحدها في قلب أمريكا ذاتها وفي أحشائها «نيويورك وواشنطن» وأن من الممكن إنزال قدر هائل من الألم والوجع والخسائر بالمتغطرسين مهما كانت أدوات المهاجم بسيطة أو حتى بلا أدوات، فالعمليات الأخيرة أثبتت ذلك.. فالمهاجمون مجموعة من الناس قرروا الانتقام، ولم يكن معهم سوى ثمن تذاكر الطائرات، ورجال مدربون على قيادة الطائرات، أما السيطرة على الطائرات فعن طريق أدوات من الطائرة نفسها أو تهريب أشياء صغيرة مثل قاطع الورق أو سكين صغيرة، وربما بلا شيء عن طريق العضلات والإرادة القوية، وهكذا فإن تحدي الاستكبار لا يرتبط بالإمكانيات بل بالإرادة، وكذلك فإن تصميم المدن والتجارة والعلاقات والمباني وبسبب طبيعة الحياة التي لا يمكن تغييرها فإن تنفيذ تلك العمليات سهل لأنه من الناحية العملية لا يمكن تحويل كل مطار إلى ثكنة عسكرية، ولا يمكن تحويل كل مبنى إلى قلعة وإلاّ فقدت الحياة معناها وفقدت التجارة مكاسبها، ولا يمكن بداهة حراسة كل شخص وكل مبنى وكل موقع وإلا توقفت الحياة عمليًّا.

على كل حال فإن الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان كان قد اعترف بذلك حينما سأله أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكي عن التقصير في حماية قوات مشاة البحرية في بيروت الذين تمت ضدهم عملية عام ١٩٨٣ على يد المقاومة اللبنانية عن طريق عملية استشهادية فقال الرئيس الأمريكي: «إن جميع الاستحكامات المعروفة في الدنيا قائمة على خوف المهاجم من الموت فإذا قرر المهاجم أن يموت فإنه لا حل هناك».

العملية التي تمت سواء كانت تعود إلى تنظيم معين أو تستند إلى جماعة أو مجرد

عمل مجموعة لا علاقة لها بأحد ؛ فإن الإمكانيات تظل ضعيفة والنجاح يرجع إلى الإرادة، ولعل الأثر المترتب على العملية لا يقتصر فقط على الخسائر المادية والبشرية وهي خسائر باهظة، بل في إثارة حالة من الفزع والخوف وهو أمر له ما بعده، وكذا الارتباك وإعادة تنظيم الأوضاع داخل الأجهزة الأمريكية وهو أمر مكلف طبعا، وكذلك في حالة الشلل التي أصابت حركة الطيران التجاري في أمريكا، وإغلاق البورصات، وإخلاء المباني الحكومية وغيرها من الأمور التي تتسبب في خسائر إضافية.

وهكذا فإن الألم شديد وإيقاع الوجع بأمريكا – الوجع الشديد – ممكن جدا: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ ﴾ (١).

وعلينا أن نتأمل أيضا ماذا يمكن أن يحدث لأمريكا أو لإسرائيل أو لأي مستكبر.. فلو كانت العملية ترجع إلى تنظيم كتنظيم بن لادن مثلا فإن معنى ذلك أن بإمكان مثل هذا التنظيم وعن طريق المال والرشوة مثلا للعلماء السوفيت في روسيا أو أذربيجان أو غيرهما – من دول الاتحاد السوفيتي السابق – بإمكان هؤلاء الحصول على سلاح ذري أو بيولوجي واستخدامه، ولك أن تتصور الباقي..

إنه الرعب الكامل، ولو كانت تلك المجموعة لا تنتمي إلى تنظيم معين بمعنى أن الممارسات الأمريكية استفزت أي مجموعة من الناس، ولو فردا واحدا فقرر أن يخطف طائرة أو « باص » أو شاحنة وينفذ بها عملية فإن من المستحيل وقف ذلك، لأنه لا يمكن مراقبة كل الناس كل الوقت، ولنا أن نتصور المسلمين مثلا كأمة، حوالي ١٥٠٠ مليون نسمة سينتشرون في كل الدول والقارات والمدن والقرى والبحار واليابسة، أي لا يمكن القضاء عليهم ولا باستخدام القنابل الذرية،

(١) سورة النساء: الآية (١٠٤)

وبالتالي فإنه لا طريق هناك سوى التوقف عن الظلم!!.. ولعل هذه النتيجة هي المعنى المهم والأثر الأهم من عمليات يوم الثلاثاء ١١/ ٩/ ٢٠٠١م.

ماذا سيكون شكل العالم بعد الحادث الرهيب؟، وهل يصلح حادث مثل هذا لإعادة تشكيل العالم؟.. والإجابة: أن هذا الحادث سيكون له آثاره البعيدة جدا.. نظرا لضخامته من ناحية، والخسائر التي لا تحتملها أمريكا من ناحية أخرى، وبالتالي سوف يؤثر على توجهاتها، وكذا سهولة تنفيذ مثل تلك العمليات واعتمادها فقط على الإرادة والشجاعة والإيمان والمغامرة فقط ثم تفكير باقي دول العالم خاصة فرنسا وأوروبا في إمكانية حدوث ذلك معها، وإذا ناقشنا أولا ردود الأفعال العربية – الحكومية والشعبية – وكذا بعض الجماعات والقوى نجد أن بعض الرؤساء والجماعات شجبوا ونددوا بمثل هذا الحادث، وهذا شيء متوقع لأنه لا يمكن لأحد أن يتبنى الدفاع عن مثل هذا الأمر لأسباب معروفة، والبعض الآخر شجب ونـدد ولكنه لفت النظر إلى جرائم أمريكا وممارساتها وضرورة تغيير سياساتها وهؤلاء أشجع من النمط الأول، ولكن الوجدان الشعبي العادي الذي يلمسه أي مراقب في الشوارع المصرية أو العربية كان فرحا وشامتا، ويعبر عن إحساس بالفرح لإصابة الأمريكيين بشيء مما أصابونا به، بل عبر كثيرون من الطبقات الشعبية على المقاهي والمحلات بأن بن لادن يحظى بحبهم واحترامهم ، وذهب البعض إلى ضرورة أن تساعده الدول العربية برغم أن التهمة لم توجه رسميا إليه حتى ساعة صدور تلك التعليقات. بعض المثقفين والمعلقين المتغربين ودعاة التطبيع اعتبروا أن ما حدث يمثل كارثة للعرب والمسلمين ؛ لأنه سوف يترتب عليه أن تستفيد إسرائيل من حالة الغيظ الأمريكي وتزداد في تشددها، وهذا بالطبع مردود عليه بأنه لا إسرائيل ولا أمريكا تحتاج لحادث لكي تفعل بنا ما تفعل فهما فعلتاه قبل الحادث

وسوف تفعلانه بعده ؛ لأن ذلك استراتيجية أمريكية وإسرائيلية ثابتة.. وكذلك يروج هؤلاء أن تشددا متوقعا مع المهاجرين العرب والمسلمين، سواء المقيمين منهم في أوروبا وأمريكا أو الراغبين في السفر، وأن معاملة المسلمين في أمريكا والغرب عموما سوف تزداد سوءا.

وقد يكون هذا صحيحا جزئيا أو مؤقتا، ولكنه أيضا سياسة ثابتة تتم وستتم بحادثة أو بدونها، بل إن تلك الحادثة ربما تجعل الأمريكيين يفكرون مرتين قبل اضطهاد أي عربي أو مسلم لأن هؤلاء لا يفهمون إلا لغة القوة، وهذا هو الأثر المتوقع على المدى الطويل.. بل إن إحساس أمريكا والغرب وإسرائيل بأن العرب والمسلمين قد عرفوا طريق الاستشهاد والانتقام وأن خبرتهم بذلك أصبحت معروفة ومتاحة سوف يؤدي بالضرورة إلى التوقف جزئيا أو كليا عن اضطهاد العرب والمسلمين وتغيير السياسات العالمية تجاه القضية الفلسطينية وقضايا العرب والمسلمين عموما، وهو أمر إيجابي بالطبع على عكس ما يروج بعض دعاة التغريب والتطبيع.. إن العالم سيتغير إلى الأفضل بفضل رجال قرروا أن يموتوا!! رغم أسفنا طبعا على الضحايا!!

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1].

■ ■ ■

(١) سورة النساء: الآية (٧٨)

الأهداف غير المعلنة لغزو أفغانستان

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

بدلا من التفكير الهادئ في الأسباب، ثم تحديد الجناة، انطلقت الآلة الإعلامية الأمريكية في اتجاه حشد معين، وأصبح الحديث عن حروب صليبية جديدة، وعن إمبراطورية الشر (العرب والمسلمين) وعن ضرورة ضرب الإرهاب ومن يحميه ثم دعوة العالم للمشاركة والتأييد ومن لا يساعد أمريكا يصبح عدوها، فليس هناك خيار ثالث..

التأمل الهادئ في أسلوب الحشد الإعلامي والسياسي والعسكري الأمريكي لحملة المزعومة على الإرهاب، يعطي الانطباع بأن هناك أسبابا أخرى – غير الإرهاب – أو أسبابا أخرى غير معلنة للحملة الأمريكية عموما والحملة الأمريكية على أفغانستان خصوصا.

وبداية ، فإن عددا من الحقائق باتت لا تخفى على أحد، يمكن رصدها بسهولة بمجرد التأمل.

فحوادث ١١ سبتمبر كانت حقا رهيبة، ولكنها ليست الأولى من نوعها بالنسبة لأمريكا، فقد حاول الإرهابيون أنفسهم حسب ادعاء الولايات المتحدة الأمريكية وأجهزتها الاستخباراتية والفيدرالية FBI, CIA نسف مركز التجارة العالمي نفسه من قبل، وتم ضبط أناس ومحاكمتهم، أي أن الدليل المادي المزعوم ضد أفغانستان كان موجودا منذ ١٩٩٣ م وكذا فإن عمليات مثل نسف السفارتين الأمريكيتين في كل من نيروبي ودار السلام منذ ثلاث سنوات، وكذا نسف مقر قيادة البحرية الأمريكية «المارينز» في بيروت عام ١٩٨٣م والمدمرة الأمريكية كول في مياه عدن وضرب الأمريكيين في الصومال بل والتمثيل بجثثهم، وكلها حالات كانت أمريكا تتهم فيها بن لادن شخصيا، أو ما يسمى بالأفغان العرب أو منظمات إسلامية على علاقة مباشرة ببن لادن وطالبان وأفغانستان، ربما فيما عدا نسف قيادة مشاة البحرية

في بيروت عام ١٩٨٣ م المنسوبة لشيعة لبنان ، وفي كل مرة كان رد الفعل يتمثل في الانسحاب الأمريكي من المكان محل الهجوم، أو السكوت على مضض أو ضرب مجموعة من المنشآت بالصواريخ لامتصاص غضب الشارع الأمريكي أو رد الاعتبار، وصحيح أن هذه المرة – حادثة ١١ سبتمبر – هي الأكبر من نوعها، ولكن كمية الغضب ورد الفعل الأمريكي كانا يقتضيان ضربات صاروخية سريعة مثلا لأفغانستان لتهدئة الرأي العام الأمريكي، ولكن الذي حدث أن العكس هو الذي يحدث، فمن ناحية تم توصيل رسالة إعلامية واضحة تثير المزيد من الغضب وتؤججه، وعلى حد تعبير الكاتبة الأمريكية سوزان مونتاج في صحيفة اللوموند: «فإن الفجوة التي تفصل بين ما حدث وما يستوجب فهمه من تلك الأحداث من ناحية وما تروج له الشخصيات العامة والتحليلات الإخبارية في وسائل الإعلام الأمريكية من ناحية أخرى لهي فجوة مثيرة للخوف وتدعو للاكتئاب، ففيما يبدو أنهم جميعا قد اتفقوا على شن حملة إعلامية تهدف إلى معاملة الرأي العام الأمريكي معاملة الأطفال» وتضيف نفس الكاتبة « أن المسئولين الذين يشغلون مناصب رسمية أو هؤلاء الذين يأملون في ذلك أو هؤلاء الذين شغلوها يوما ما، من الواضح أنهم قد تآمروا جميعا بإرادتهم بالاتفاق مع وسائل الإعلام الرئيسة على عدم تحميل الشعب الأمريكي عبء معرفة الحقيقة».

وهكذا ، فإن هناك توجها مرسوما نحو حشد الشعب الأمريكي بطريقة ما باتجاه الموافقة على حملة عسكرية ضخمة - لأسباب سوف نحللها – حتى لو أدى الأمر إلى سقوط خسائر في صفوف القوات الأمريكية، أو حتى لو أدى الأمر إلى عقاب شعوب بكاملها أو التسبب في ضحايا أكثر عشرات المرات مما حدث في نيويورك وواشنطن، أو حتى لو أدى الأمر إلى عقاب جماعي بحثا عن شخص أو بسبب

شخص، وذلك بدلا من مناقشة القصور المخابراتي والأمني، وضعف أجهزة الرصد والتوقع، أو البحث في أسباب نقمة شعوب وجماعات على السياسات الأمريكية.

أضف إلى هذا أن الأهداف تم تحديدها، والقوات بأعداد ضخمة جدا تم تحريكها قبل أن تكون هناك أدلة قاطعة على الفاعل الحقيقي، حتى الآن ومع مرور الوقت يثبت شيئا فشيئا مدى التخبط في الاتهامات ونشر أسماء لا تزال حية هنا أو هناك على أنها التي قامت بالعملية، وإذا كانت المباحث الفيدرالية الأمريكية لم تعرف حتى الآن على وجه الدقة أسماء الذين قاموا بالعملية فكيف لها أن تعرف صلتهم ببن لادن مثلا ، وقد ثبت ذلك بعد ظهور أخطاء في أسماء القوائم الأمريكية المنشورة عن منفذي العملية وظهور بعضهم في السعودية والإمارات وغيرهما، المهم أنه لا دليل حتى الآن قاطعًا على الجاني، وبداهة لا يليق بدولة عظمى مثل الولايات المتحدة أن تمارس رد الفعل بدون دليل، اللهم إلا إذا كان التحرك في حد ذاته مخططا من قبل ويحتاج الذريعة أو التوقيت المناسب، ولعل التأمل في الحجم الضخم من قوات بحرية – رغم عدم وجود منافذ بحرية لأفغانستان – وطيران وصواريخ وقوات برية، وحشد دولي، والبحث عن قواعد وتسهيلات في باكستان وطاجيكستان وأوزبكستان وتركيا واليونان... إلخ يعني أننا أمام حملة كبرى سوف تستغرق وقتا طويلا، وكذلك حديث الرئيس الأمريكي عن حشد الشعب الأمريكي وإمبراطورية الشر وضرورة اجتثاث الإرهاب في كل مكان – وهذا مستحيل طبعا – يعني أن الأمر أكبر من مجرد حملة لرد الاعتبار، أو ضربات توجه لأفغانستان عن بعد، وكذلك معرفتنا بأن عقاب طالبان في حد ذاته – وهي الضعيفة عسكريا – عن بعد هو أفضل ؛ لأن دخول الجيش البري الأمريكي

المستنقع الأفغاني أمر ليس سهلا، وله مخاطر جمة ، ومع ذلك تصر عليه الولايات المتحدة، لماذا؟ ومن أجل أي أهداف، هل من أجل القبض على بن لادن وعدد من رجاله أو حتى قادة طالبان؟! بالطبع لا، والمسألة تحتمل أكثر من هذا السبب الذي يخفي أسبابا.

ثم إذا تأملنا إصرار الولايات المتحدة على أن تنفرد بتلك الخطوة بدون الحاجة إلى قوات أطلسية على غرار ما حدث في يوغوسلافيا بدعوى أن ذلك أفضل من حيث عدم تضارب القرارات!! ودون الرغبة في الحصول على تفويض من مجلس الأمن كما حدث في العدوان على العراق عام ١٩٩١، يعني أن هناك أجندة أمريكية خاصة بالمنطقة وبالموضوع وليست أجندة دولية.

وكذا لو تأملنا ما أكده عدد من المصادر منها : صحيفة الجارديان البريطانية من أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تفكر في غزو أفغانستان قبل شهرين من حدوث الهجوم على واشنطن ونيويورك في ١١ سبتمبر الماضي، وأنه تم عقد اجتماع لمدة أربعة أيام في منتصف شهر يوليو ٢٠٠١ الماضي ضم مسئولين أمريكيين وروسًا وإيرانيين وباكستانيين.

إذن فالإطاحة بطالبان – أو بالأحرى الرغبة الأمريكية في التو جد في أفغانستان – هي أمور سابقة على حوادث الثلاثاء الرهيب وأن هناك بالتالي أسبابا لتلك الرغبة الأمريكية غير معاقبة بن لادن أو القضاء على الإرهاب.

لماذا حرص الرئيس بوش على أن يحصل على دعم كل من الحزبين، وكل من المجلسين، بطريقة تشبه الإجماع ولماذا حدث هذا الإجماع في دولة عريقة في الديمقراطية ولا تتفق عادة على رأي واحد؟ هل يمكن تفسير ذلك في أن مصلحة الرأسمالية ومراكز المال والصناعة في الولايات المتحدة الأمريكية التي تستفيد عادة

من الحروب خاصة الكبيرة منها في إغراء الحزبين «الجمهوري والديمقراطي» وحشد أعضاء الكونجرس، ثم خداع الرأي العام عن طريق الإعلام لتحقيق مصالحها، وهل يفهم في هذا الإطار أيضا أن تلك الحملة الأمريكية الدولية ضد الإرهاب لن تكتفي بأفغانستان وستصل إلى لبنان والسودان والعراق وإيران وسوريا، وكل هذا يخدم المشروع الصهيوني الذي بات غير قادر على مواجهة المقاومة الإسلامية، وهل تستغل إسرائيل الفرصة – فرصة انشغال العالم في الحرب الضخمة على الإرهاب والدول التي تؤويه – في إعادة هيكلة الواقع الفلسطيني على الأرض بما يجعلها قادرة على إملاء مطالبها، لماذا لا نفكر أيضا في أن الوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان سيجعل من الممكن تحييد السلاح الباكستاني والإيراني الممكن استخدامه ضد إسرائيل!! خاصة أسلحة الدمار الشامل النووية وما تحت النووية، الأمر الذي يطلق يد إسرائيل في المنطقة بعد إخراج هاتين القوتين من المعادلة وبعد ضرب العراق ولبنان وربما سوريا والسودان لتخويف مصر، ولكن أليس وجود القوات الأمريكية في ذلك القوس من الخليج حتى باكستان وطاجيكستان وبحر قزوين سوف يقلل من قيمة إسرائيل الاستراتيجية؟!

الشيء الوحيد القابل للفهم هو أن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تدخل أفغانستان لتبقى فيها، يمكنها أن تقيم حكومة من شخصيات من الأغلبية والمعارضة، أو تعيد أبناء ظاهر شاه أو هو شخصيا ولكن ذلك لا يمكن استمراره إلا تحت مظلة الوجود العسكري الأمريكي المستمر في أفغانستان، وربما أيضا إقامة قواعد دائمة في باكستان وطاجيكستان وأوزبكستان، والمطلوب طبعا هو السيطرة على بترول بحر قزوين، وبذلك تكون القوات الأمريكية قد أحكمت سيطرتها ووجودها المباشر على بترول الخليج وبترول بحر قزوين، أي أحكمت سيطرتها على

شريان الحياة، ويمكننا أن نفهم أيضا أن تستغل الولايات المتحدة هذا الوجود لدعم حركات انفصال في الصين مثلا، أو التحكم في إمداد الصين بالبترول الذي من المتوقع أن تصبح الصين مستوردة له بكميات كبيرة في وقت قريب أو ربما المسألة متصلة بإعادة هيكلة آسيا بطريقة معينة بالتحالف مع تركيا واليابان مثلا، وكل الاحتمالات مفتوحة، ولكن الواضح فيه أن رغبة الولايات المتحدة في الوجود العسكري في أفغانستان وما حولها بصورة مستمرة هي السبب الأكبر في كل ما تفعله ، وليس موضوع معاقبة بن لادن أو طالبان إلا الذريعة، ولعلها وجدت في حادث الثلاثاء ما يعجل بتحقيق تلك الخطة المعدة سلفا، ولا يعني هذا أنها هي التي فعلت ما حدث في واشنطن ونيويورك أو أنها شجعت عليه أو سهلته، ولكن من يدري كيف تدار الأجهزة الأمريكية ومن يخترقها، أو يحركها أو يشكل وصاية عليها؟!

في كل الأحوال فإنه رغم تلك الرغبة الأمريكية التي تحقق للولايات المتحدة التحكم في كل بترول العالم تقريبا من الخليج إلى بحر قزوين والتي تحققت بفعل حرب الخليج الثانية ثم حرب الإرهاب المزعومة ، وبرغم كل المكاسب المتوقعة لصالحها غير البترولية، فإن من الممكن أيضا أن تكون تلك هي بداية النهاية للولايات المتحدة، ويحدث لها ما حدث للاتحاد السوفيتي السابق في أفغانستان، وربما يكون الحريق ضد الوجود الأمريكي ليس في أفغانستان فحسب بل قد يمتد هناك إلى باكستان ثم الخليج العربي ذاته. من يدري؟!

■ ■ ■

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

العالم
على مفترق طرق

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

رد الفعل الأمريكي على حوادث الثلاثاء الرهيب، سوف تحدد شكل العالم في لسنوات القادمة، وكثير من الأمور ستختلف بعد حدوث رد الفعل هذا، وتداعياته القادمة وشكله.

وبداية ، فإن الألم الشديد الذي نزل بأمريكا والخسارة الرهيبة التي لحقت بها، والتي ربما لم تحدث في تاريخها كله «عشرة آلاف قتيل، و ٧٠٠ مليار دولار من الخسائر متمثلة في انهيار المباني الضخمة، وتعطل حركة الطيران المدني عدة أيام، وتراجع البورصات وإغلاق أسواق المال لمدة أسبوع، وتراجع سعر الدولار وغيرها» مقارنة بحادثة بيرل هاربور التي قام فيها اليابانيون بتدمير الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور وأوقعوا فيها ٢٥٠٠ قتيل، ٥٠٠ مليون دولار خسائر مادية بأسعار الأربعينيات – حوالي ١٠٠ مليار بأسعار اليوم – هذا فضلا عن سقوط هيبة السيد الأمريكي، وزعزعة غروره بقوة، وتهشيم جزء كبير من وجهه العسكري والاقتصادي.

كل هذا كان فرصة لأن يعيد الأمريكيون التفكير مرتين، بمعنى أن يطرحوا على أنفسهم سؤالا بديهيا، هو : ما السبب في تعرض الولايات المتحدة لذلك كله، ولماذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية هدفا للإرهاب؟ هل هناك أخطاء في سياساتها الخارجية مثلا تسببت في ظهور نوع من الحقد الأسود عليها؟ هل ممارساتها قد أدت إلى إشعال الغضب في نفوس عدد من البشر كبيرًا أو صغيرًا، لدرجة التفكير في الموت والقيام بعمليات انتحارية ضد أمريكا كرد فعل على هذه الممارسات، وإذا أخذنا مثلا العرب والمسلمين الذين أصبحوا متهمين لدى الإدارة الأمريكية والصحافة الأمريكية – كجماعة بشرية – تشعر أو يشعر جزء كبير منها بالغيظ والغضب من سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، فهل لهذا الأمر أصل حقيقي

وسبب موضوعي مثلا؟، هل هو إنشاء إسرائيل ودعمها المستمر ، وبالتالي التسبب في فظائع ومآسٍ للشعب الفلسطيني والشعوب العربية والاعتداء على مقدسات المسلمين؟ هل القتل اليومي للفلسطينيين بطائرات أمريكية يمكن أن يؤدي إلى نوع من التفكير لدى الضحايا وذويهم وأبناء دينهم «هذه ليست حرب الديمقراطية ضد الإرهاب، هذا ما سيطلب من العالم أن يعتقده في الأيام القادمة، إنها حرب لها علاقة أيضا بالصواريخ الأمريكية التي نزلت على منازل الفلسطينيين وبطائرات الهليوكوبتر الأمريكية التي ألقت حمم النار على عربات الإسعاف في لبنان عام ١٩٩٦ وبالقنابل الأمريكية التي سقطت على قرية لبنانية اسمها قانا، وميليشيات لبنانية الاسم إسرائيلية الزي ، أمريكية التمويل قتلت واغتصبت المئات في معسكر للاجئين «صابرا وشاتيلا».

وعلى حد قول الكاتب والمفكر الأمريكي – اليهودي غير الصهيوني – ناعوم تشومسكي «كانت التفجيرات في نيويورك وواشنطن فظيعة ولكنها ليست أشد فظاعة من جرائم أخرى ارتكبتها الولايات المتحدة الأمريكية في حق شعوب أخرى كان آخرها ما فعلته حين دمرت بلا جريرة نصف إنتاج الدواء السوداني في مصنع الشفاء بالخرطوم».

هل تفكر الولايات المتحدة، مفكروها، وسياسيوها، وحكامها وجماعاتها – الرئاسة – المخابرات – البنتاجون – الكونجرس – الصحافة ... إلخ في أن سياسة الحصار على العراق مثلا أدت إلى مليون قتيل معظمهم من الأطفال؟ وأن العولمة والجات والرأسمالية المتوحشة تتسبب في تهميش المزيد من الناس والفقراء كل يوم، خاصة في الجنوب؟ أم أن الضجيج والصياح سيكون البديل، للوصول إلى أهداف لا علاقة لها بمصلحة أمريكا؟ هل تدرك الولايات المتحدة الأمريكية أن القوة

والاستخبارات والاستحكامات مهما كانت لن تحمي أمريكا، بل يحميها سياسة أخلاقية؟ هل تكف مثلا عن استخدام الفيتو ضد كل قرار يدين إسرائيل؟!! أم أن العكس سيحدث تماما، بمعنى هل تستغل قوى معينة في أمريكا وخارجها حالة الغضب والغبار الشديد المتصاعد من المباني المهدمة لإحداث حالة من التضليل والهيستريا لدى الرأي العام، فيفسر الأمر على أن هناك أقواما شريرة تريد القضاء على أمريكا الطيبة، هكذا شريرة بلا مبرر ولا دافع، وأمريكا طيبة على طول الخط، وأن الصراع هو بين الخير الذي تمثله أمريكا وبالتالي إسرائيل الشر الذي يمثله كل من يرفض الأمركة، أو يقاوم إسرائيل، أو ينتقد العولمة، أو يظهر الضجر من قوانين السوق.

الحقيقة أن هذا ما حدث، فالمسألة وصفت على أنها أفعال شريرة تستحق القضاء عليها في كل مكان، القضاء على الإرهاب ومن يدعمه، ولو على حساب كل شيء، يمكن ضرب أهداف مدنية ومنشآت وإسقاط ضحايا من البشر العاديين في أفغانستان، سوريا، لبنان، اليمن، إيران، السودان، ليبيا،بل ودعوة إخوانهم من العرب والمسلمين في المشاركة في المجهود والحرب ضد هؤلاء الأشرار اليوم أو غدا، وإلا فهم بدورهم أعداء لأمريكا، وللحضارة، فالحرب بين التحضر والهمجية وهذا يقتضي فعل كل شيء لحماية التحضر، حتى لو كان الفعل نفسه غير متحضر، إنها بالطبع فرصة للقضاء على كل البؤر المعادية لأمريكا وإسرائيل، وتحويل المعركة إلى حرب عالمية ثالثة ضد الإسلام والمسلمين، والهيستريا بدأت في عمليات الانتقام الفردي والجماعي من الوجود الإسلامي في الغرب وأمريكا، والاعتداء على المساجد والمراكز الإسلامية والأفراد والمؤسسات والنساء المحجبات وأطفال المدارس.. إلخ، وكذا ظهرت الدعوات لمنع هجرة المسلمين إلى الغرب والتشدد في

قوانين الإقامة والهجرة ودفعهم إلى العودة إلى بلادهم، وكذلك في تحويل المجتمعات الأوروبية وأمريكا إلى مجتمعات بوليسية على حساب الحرية الفردية، وكل هذا بالطبع سيزيد من حالة الغضب والعداء لأمريكا والغرب ويعطيه المزيد من الوقود، وبالتالي يزيد من فرصة تكرار الأعمال الإرهابية ؛ لأنه مهما تطورت وسائل الأمان فإن الإرهاب بدوره سيطور نفسه وهذه سنة الحياة في كل شيء، ولن تستطيع كل الإجراءات منع الإرهاب ، مهما كانت محكمة، وهذه أيضا سنة كونية يجب أن تعرفها أمريكا، فدرع الصواريخ لن يحميها، والتفتيش الدائب في المطارات لن يحول دون خطف الطائرات! ويمكن أن تأتيها الضربة من أماكن وطرق لا تخطر على بالنا الآن، وربما يدخل هذا في سنن الله تعالى القاضية بانهيار الحضارات المغرورة والقوة المتغطرسة، ويمكن أن يكون ما حدث في «الثلاثاء» الرهيب هو المقدمة لتنفيذ إرادة الله وسنته في انهيار الحضارة الأمريكية لأنها تغطرست ولم تخضع للسنن الكونية في استمرار الحضارات.

■ ■ ■

الآثار المتوقعة لحادث ١١ سبتمبر على المعادلات الدولية والإقليمية

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

ما بعد ١١ سبتمبر ليس مثل ما قبله بالتأكيد ... فكثير من العلاقات والمعادلات الدولية والإقليمية يمكن أن تتغير، وهذا يعني أن علينا دراستها وبالتالي الاستفادة منها، أو تقليل آثارها الضارة علينا، وبدون الدراسة والبحث ومعرفة موقفنا في العالم الجديد والتحرك بسرعة إزاء هذا الواقع ، فإننا نكون قد أخطأنا في حق مستقبلنا.

حادث ١١ سبتمبر رفع الغطاء عن كثير من الحقائق، ودفع بها إلى الصدارة وأحدث مستجدات جديدة لم تكن موجودة.

من الحقائق التي رفع عنها حادث ١١ سبتمبر الغطاء، ذلك الموقف المعادي جماهيريا ورسميا وشعبيا في الغرب وأمريكا للإسلام والمسلمين، فالتفسير السريع الذي اندفع إلى الصدارة قبل أن تبدأ التحقيقات أصلا، هو أن العرب والمسلمين هم المسئولون عن الحدث، وأن أسامة بن لادن وجماعة القاعدة وأفغانستان وطالبان يجب معاقبتهم، وتحركت الأساطيل والطائرات والجنود لتنفيذ المهمة قبل أن يتأكد أحد من جدية الاتهام، وسجلت الحوادث اليومية زيادة الاعتداءات على العرب والمسلمين المقيمين بأوروبا وأمريكا، ودار الحديث علنا وهمسا عن الإسلام الذي يفرز العنف، وعن إمبراطورية الشر التي يمثلها المسلمون.. وكان معنى هذا أن العداء للإسلام والموقف من العرب والمسلمين موقف سابق قد وجد الفرصة للتعبير عن نفسه.

ومن تلك الحقائق أيضا أن مفهوم الحرية المزعوم في الغرب وأمريكا قد سقط في الامتحان.. فالشبهات حامت حول كل عربي ومسلم، ومنع كثيرون من السفر، أو اعتقل البعض بلا ذنب ثم أفرج عنه بعد ذلك، وصدرت تشريعات تبيح القمع – للعرب والمسلمين تحديدا – بل وتم تجميد أرصدة لجماعات وأفراد وهيئات خيرية

دون أن يصدر حكم قضائي بذلك.

وعندما تم ضرب أفغانستان – وهي الدولة الأضعف والأفقر – على يد الدولة الكبرى والأقوى، مع حلفائها الأقوياء إنجلترا وكندا واستراليا واستعداد فرنسا لذلك ودعم ألماني وياباني وتواطؤ روسي.. إلخ اكتشفنا أننا أمام الغرب كل الغرب وليس الأمريكان وحدهم وأن هذا الغرب الذي كثيرا ما صدع رؤوسنا بمبادئ الحرية والعدالة والقانون الدولي، يمارس سياسة العقاب الجماعي، ويضرب دولة وشعبا بحجة البحث عن رجل أو مجموعة رجال – دون الرجوع حتى للأمم المتحدة – وكان هذا سقوطا عمليا للمبادئ المزيفة للحضارة الغربية.

سنفترض أن بن لادن مسئول فعلا، وكذا تنظيم القاعدة وحكومة طالبان، وأنهم يستحقون العقاب ـ حسنٌ ـ فلتعاقبهم أمريكا ولكن لماذا لا تعاقب في نفس الوقت الذين ارتكبوا الجرائم في حق الشعب الفلسطيني والعراقي والذين ضربوا الطائرة المدنية المصرية عام ١٩٧٢م، والإيرانية عام ١٩٩٠م والذين ضربوا المدنيين والمنشآت المدنية في السودان وليبيا، واعترفوا بالخطأ فيما بعد، والذين ارتكبوا جرائم الإبادة ضد الهنود الحمر والأبورجيين« سكان استراليا الأصليين» وجرائم الاسترقاق والاستعمار والمذابح هنا وهناك؟ أليست هذه عنصرية؟!!!

واكتشفنا أيضا أن أقوى الدول والشعوب في مواجهة أمريكا كانت أفغانستان – وأضعفها موقفا هي باكستان التي تمتلك القنبلة الذرية، وحجة باكستان في الخضوع هي خوفها على منشآتها النووية، وهكذا فإن الحصول على عناصر القوة كانت من عوامل الخضوع، فلم تزدنا القنبلة النووية إلا خضوعا ، والمفروض أنها كانت عامل قوة، وهذا يفتح الباب واسعا لمناقشة الأسلوب الصحيح للتنمية والحصول على عناصر الصمود، فما دمنا في حالة مواجهة – أردنا أو لم نرد – مع الغرب وأمريكا

فعلينا أن نختار أسلوب التنمية وعناصر القوة التي تدعم صمودنا وليس العكس، وفي هذا الصدد علينا التركيز على التنمية المستقلة غير المرتبطة بنظام الاقتصاد الدولي والعولمة – بمعنى التركيز على الزراعة والمشروعات الصغيرة، لأن هذه من الصعب ضربها ، ومن الصعب التحكم فيها [1] أما بناء مصانع كبيرة والحصول على سلاح ثقيل ،فهذا يزيدنا ضعفا، لأنهم يمتلكون سلاحا أقوى، ولأنهم يستطيعون ضرب المصانع الكبيرة والأسلحة الثقيلة، سنضرب مثلا إذا كان لدينا الرغبة في بناء مصنع كبير للدواء مثل السودان، يمكن ضربه بصاروخ كروز أوتوماهوك في لحظات، أما إذا أنشأنا بنفس التكاليف ١٠٠٠ «ألف» معمل صغير للدواء فهذا يصعب تدميرها، والمسألة أشبه بوضع البيض في سلة واحدة أو وضعها في عدد من السلال، والمثل المعروف يقول لا تضع كل البيض في سلة واحدة، وكذا القواعد العسكرية والإمكانيات العسكرية الضخمة يسهل ضربها، وهي أصلا لن تحسم المعركة لصالحنا لأن الغرب وإسرائيل متفوقان علينا عسكريا ومعلوماتيا وعلميا ويجب ألا نخدع أنفسنا، بل يجب الاعتراف بالحقيقة ثم البحث عن الوسائل الصحيحة لتجاوز هذه الحقيقة وتحقيق أهدافنا. ليس معنى هذا أننا نرفض القوة والتقدم، ولكن نقول : يجب أن ندرك ما حولنا وإمكانياتنا وتحدياتنا وظروفنا ومواجهتها بالأسلوب الصحيح، وهو التنمية المستقلة، وتوزيع المشروعات في كل مكان، والتركيز على الزراعة، وبناء الإنسان القوي المؤمن وليس الترسانة العسكرية القوية وممارسة الحرب الشعبية وليست النظامية.

***

(١) راجع في هذا الصدد كتابنا خطوط عريضة في المشروع الحضاري الإسلامي، وكتاب صفحات من كفاح شعب مصر، الجزء الأول.

من الحقائق المستجدة التي أفرزها حادث ١١ سبتمبر، هو أن العالم لم يعد مقصورا على قطب واحد، فما حدث يعني أنه بالإمكان إنزال الخسائر الباهظة بأقوى دولة في العالم، وأنها لم تعد محصنة أو لا يمكن الوصول إليها أو معاقبتها، بل يمكن ذلك بأساليب متاحة مع قدر من العزم والتصميم، وأنه إذا كان الاتحاد السوفيتي السابق قد سقط ؛ فإن قطبا جديدا هو الإرهاب قد صعد، وسوف يحدث هذا نوعا من التوازن الدولي يمكن استفادة الشعوب منه كما كانت تستفيد من التناقض السوفيتي الأمريكي.. بل أكثر من هذا أن الباب أصبح مفتوحا أمام ظهور تحالف شعبي ضد أمريكا يمارس ضدها النضال بكل أشكاله لانتزاع حقوق الشعوب ويصمد في مواجهتها، وهذا التحالف يضم كل المستضعفين في العالم ومناهضي العولمة والحركات الإسلامية وغيرها، ويمكن أن يكون الجذر الحضاري الإسلامي جذرا أيديولوجيا لهؤلاء، على أساس أن المسلمين ربع العالم وهم أول المستهدفين أمريكيا ، وعلى أساس أن الإسلام دين عالمي خطابه غير عنصري قادر على حشد المسلمين وغير المسلمين تحت لوائه، وهذا يرتب ضرورة تطور مفاهيم ووسائل وخطاب الحركات الإسلامية وعلماء الدين لتقديم خطاب عالمي، مدافع عن كل مستضعف وليس كل مسلم فقط، وتقديم الإسلام كأيديولوجية للفقراء، ولا شك أن النص الديني الإسلام، والممارسات الحضارية الإسلامية تسمح بذلك، ومن الحقائق المستجدة أيضا، أن الحكومات أدركت أنها أيضا مستهدفة أحيانا وأن الضربات ستطولها الواحدة بعد الأخرى، ما لم تقدم الولاء والخضوع الكامل لأمريكا ، وهذا غير ممكن لأنه يثير مشاكل مع الشعوب، ومن الأفضل طبعا أن ترضي الحكومات شعوبها وتقف بجانبها بدلا من العكس.

من الحقائق المستجدة كذلك. أن الجميع اكتشف أن أمريكا هي العدو في

أفغانستان والعراق وفلسطين، وبالتالي فإن الخلاف الذي كان يحدث على الأولويات قد تلاشى، بل إن كل القوى العربية مثلا القومي والوطني والإسلامي أصبح في خندق واحد، ولا بد أن يفرز لغة وخطابا واحدا سيكون إسلاميا غالبا لأن الحرب حرب حضارية وليست حربا قومية أو وطنية فقط، وهذه ميزة يجب أن يرتفع الخطاب الإسلامي لاستيعابها ليس بمنطق «ألم نقل لكم» ولكن بمنطق أننا جميعا شركاء في الدفاع عن أمتنا.

أحداث ١١ سبتمبر والعدوان على أفغانستان أفرز نوعا من النشاط والحيوية في صفوف الشعوب، فالمظاهرات في باكستان وأندونيسيا ومصر والمغرب والسودان واليمن ولبنان والعراق، وإيران وتركيا وكل مكان قد اندلعت، وشعار الموت لأمريكا لم يعد مقصورا على الإيرانيين وحلفائهم والمتعاطفين معهم، بل انتقل إلى تراتشي وجاوة وسومطرة.. وعلماء السعودية السلفيون هم الأكثر راديكالية في مواجهة أمريكا وكذلك علماء باكستان المتأثرون بالفقه السلفي.

وهكذا أصبح الجميع في الخندق عينه، السنة والشيعة، السلفيون وغير السلفيين.. إلخ وهذا أمر له ما بعده بكل تأكيد.

وربما يرجع هذا إلى الإحساس بالثقة في النفس عقب أحداث ١١ سبتمبر بصرف النظر عن مشروعية العمل من عدم مشروعيته، وأيا كانت نتائجه فإن معنى توجيه الاتهام إلينا، عربًا ومسلمين ، القدرة على القيام بعمل خطير مثل هذا يحتاج إلى الدقة والتنظيم، هو في حد ذاته نوع من إعطاء الثقة بأننا لا نزال أمة قادرة على إفراز أذكياء وأكفاء حتى لو كانوا أشرارا، وأننا لسنا أمة نائمة أو عاجزة أو غائبة عن الوعي، وهذا بالتحديد ما جعل عددا من الرموز الفكرية التخريبية تحاول أن تقول : إنه لا يمكن لعربي ومسلم أن يقوم بكل هذا العمل الذي يحتاج إلى الدقة

والجسارة، وتم توجيه الاتهام إلى اليهود وإسرائيل أو الصرب أو اليمين الأمريكي أو اليابانيين، وكان منطق هؤلاء أننا نبعد التهمة عن العرب والمسلمين حتى لا يتعرضوا للانتقام والخسارة، والحقيقة أن أمريكا تحركت وضربت وأن العقاب نزل، والذي يترتب على هذا التفسير هو سحب رصيد الثقة الذي تراكم داخلنا عقب الحادث، أكثر من هذا فإن إدراك الغرب أن العرب والمسلمين قادرون على فعل أعمال بهذا المستوى حتى ولو كانت أعمالا شريرة فسوف تقلل من غرورهم تجاهنا، وغطرستهم ضدنا، وسوف يدفعهم في التفكير لعدم استفزازنا، وذلك بعد الخروج من حالة رد الفعل الحالية، وفي كل الأحوال فإن النتائج ستكون لصالحنا، لأن هؤلاء وغيرهم لا يفهمون إلا لغة القوة ولا يحترمون إلا القادر على إنزال الأذى بهم.

***

التأثيرات المحتملة على قضية العرب والمسلمين الأولى - وهي قضية فلسطين - تأثيرات متنوعة وأحيانا متعارضة ولا بد من دراستها وفحصها وتحديد اتجاهاتها لنخرج بالمحصلة سلبا أو إيجابا.

وبداية ، فإن ضربات ١١ سبتمبر كانت رسالة إلى الولايات المتحدة بأن ممارساتها في العالم عموما وفي فلسطين خصوصا كانت أحد أهم الدوافع لارتكاب الحادث، وقد تأكدت هذه الرسالة فيما بعد في كلام أسامة بن لادن وغيره، وكذا سيل التحليلات الذي ربط بين الحادث وممارسات إسرائيل ودعم أمريكا لها، وإذا كانت هذه الرسالة لم تستوعب بعد، بسبب ظروف المفاجأة والصدمة، فإنها لا بد ستصل إلى عقول الأمريكيين أعربوا عن أن ما نزل بهم كان بسبب إسرائيل – في استطلاع للرأي أعرب ٥٨٪ من الأمريكيين عن ذلك – وكذلك في الإشارات التي

أطلقها الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني حول اقتناعهما بضرورة قيام الدولة الفلسطينية، وفي الوقت نفسه يجب ألا نخدع بهذا، فلو لم يستمر الضغط لتلاشى ذلك سريعا جدا، على أي حال فإن هذه نقطة إيجابية لصالحنا أحدثتها أحداث ١١ سبتمبر، ومن الآثار الإيجابية على معادلات الصراع أيضا، أن أمريكا أدركت أن إسرائيل عبء عليها، وأن قواتها مضطرة للوجود في آسيا الوسطى لأسباب مختلفة وهذا يعني أن القوت الأمريكية بنفسها أصبحت موجودة في هلال و سع من الخليج إلى بحر قزوين، وبالتالي قلت الأهمية الاستراتيجية لإسرائيل، ولعل هذا ما يفسر التراشق اللفظي بين شارون والأمريكيين وخوف شارون من أن يتم التضحية بإسرائيل لإرضاء العرب والمسلمين كما حدث لتشيكوسلوفاكيا إبان الحرب العالمية الثانية وتحذيره من أن ذلك لم يمنع وقوع الحرب.

وأكثر من هذا أن الثقة المترتبة على الحادث في نفوس العرب والمسلمين والفلسطينيين سوف تؤكد خطر الاستشهاد وهذا يضرب إسرائيل في صميم وجودها. فقد أصبح من الممكن تطوير العمليات الاستشهادية ضد إسرائيل بطريقة ذاتها خاصة أن هناك ١,٢ مليون فلسطيني عربي يعيشون داخل فلسطين ١٩٤٨م، ولديهم جوازات سفر إسرائيلية وحاصلون على الجنسية الإسرائيلية.

وفي المقابل فإن هناك آثارا للحادث لصالح إسرائيل، فيمكن لإسرائيل أن تستفيد من حالة الغضب الشعبي والحكومي الغربي على العرب والمسلمين، وكذا فإن وجود القوات الأمريكية في آسيا الوسطى، في قلب باكستان، وبجوار إيران يعني تحييد القوة النووية الباكستانية التي كانت تمثل عنصر توازن لصالح العرب ضد القوة النووية، وكذلك تحييد قوة الصواريخ الباليستية الإيرانية التي كانت تهدد إسرائيل.

وكذلك فإن من الممكن ضرب العراق وسوريا وإيران ولبنان وليبيا وربما السودان واليمن والضغط على مصر، بحجة مطاردة الإرهاب، واستهداف حزب الله في لبنان وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين ، وكل هذا بالطبع يصب في خانة المصلحة الإسرائيلية.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أفغانستان

التاريخ والغرافيا

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

هل يكون الغزو الأمريكي لأفغانستان هو بداية النهاية والطريق إلى تراجع أمريكا وبدء منحنى هبوطها بعد أن وصلت إلى حالة الانفراد بالقوة في العالم، كما حدث للاتحاد السوفيتي السابق عقب غزوه وفشله في أفغانستان.. أم يحدث العكس وتصبح أمريكا هي أول قوة في التاريخ المعاصر تستطيع إخضاع الأفغان والسيطرة على بلادهم؟! وهو الأمر الذي لم يستطع تحقيقه الإنجليز أو السوفيت..

هل تلعب الجغرافيا الدور نفسه، أم أن الآلة الأمريكية سوف تستطيع إخراج الجغرافيا من العوامل المحددة لمصير الصراعات في أفغانستان.

إنها أسئلة محورية، ربما تشكل الإجابة عنها، شكل العالم في القرن الواحد والعشرين.

في كل الأحوال، فإن التاريخ والجغرافيا – حتى الآن – لعبا دورًا في منع أي قوة خارجية من الاستقرار في أفغانستان ، وسوف نتعرض لهذا التاريخ والجغرافيا.

***

تقع أفغانستان في قلب آسيا، وهي دولة قارية بلا أية منافذ بحرية، وتبلغ الحدود الدولية لأفغانستان ٥٧٦٩ كيلو مترًا، منها ٢٤٦٦٦ كيلو مترًا مع باكستان في الشرق والجنوب، و٨٤٩ كيلو مترًا مع إيران في الغرب، و٧١ كيلو مترًا مع الصين في الشرق، و٢٣٨٣ كيلو مترًا مع دول الاتحاد السوفيتي السابق«طاجيكستان، أوزبكستان، تركمانستان، كيرخيزيا، كازاخستان».

تبلغ مساحة أفغانستان ٦٥٢٢٢٥ كيلو مترًا مربعا، ويشبه شكلها شكل ورقة الشجرة، وعاصمتها «كابول» ، وأهم المدن هي مزار الشريف في الشمال، هيراث في الغرب، قندهار في الجنوب، جلال أباد في الشرق، وتنقسم أفغانستان إلى ٣١ ولاية وتنقسم كل ولاية إلى مديريات تنقسم بدورها إلى مراكز وقرى.

وبخصوص السطح والمناخ، تنقسم أفغانستان إلى ثلاث مناطق رئيسية هي : السهول الشمالية وتتمتع هذه السهول بتربة خصبة ، تكثر فيها الزراعة ورعي الأغنام، ويبلغ متوسط درجة الحرارة في تلك السهول ٣ درجات مئوية في يناير و٣٢ درجة مئوية في يوليو ، ويبلغ المعدل السنوي للأمطار في هذه المنطقة ١٨ سم٣.

والمنطقة الثانية – وهي الأكبر – وتبلغ ثلثي مساحة أفغانستان ، وهي المرتفعات الوسطى، ويبلغ أقصى ارتفاع لها ٧٦٢٠ مترًا، ويبلغ متوسط درجة الحرارة في هذه المرتفعات ٤ درجات مئوية تحت الصفر في يناير، و ٢٤ درجة مئوية في يوليو، ويبلغ المعدل السنوي للأمطار هناك ٣٨ سم٣، والمنطقة الثالثة هي الهضبة الجنوبية الغربية وتقع في جنوب غرب أفغانستان ويبلغ متوسط ارتفاعها ١٠٠٠ متر، ومساحتها تبلغ ٨٠ ألف كيلو متر مربع، والمعدل السنوي للأمطار فيها ٥ , ٢٣سم ٣، ويبلغ متوسط درجة الحرارة فيها ٢ درجة مئوية في يناير، ٢٩ درجة مئوية في يوليو، وتوجد في أفغانستان أربع مجموعات نهرية أساسية هي : مجموعة نهر أمودريا، مجموعة هاري رود في الشمال ومجموعة هلمند في الجنوب، مجموعة نهر كابل في الشرق.

يبلغ عدد سكان أفغانستان ٢٥ مليون نسمة، ويوجد بها ٢٠ جماعة عرقية أهمها البشتون ٤٣٪، الطاجيك ٢٧٪، الأوزبك ٦ , ٦٪، الإيماك ٣ , ٥٪، الفاراسون ٢ , ٥٪، الهزارا ٣ , ٣٪.

وسكان أفغانستان معظمهم من المسلمين السنة على المذهب الحنفي ٨٢ – ٩٠٪ وشيعة على المذهب الجعفري ٨ – ١٧ ٪، وأهم اللغات هي البشتو والداري« لهجة فارسية يتكلم بها عدد كبير من السكان».

والتاريخ المعاصر لأفغانستان يبدأ من عام ١٧٤٧ م عندما أسس أحمد شاه الأبدالي «أحمد شاه بابا» دولة أفغانستان واتخذ من قندهار عاصمة له، وبسبب موقع أفغانستان الجغرافي تتنافس عليها العديد من القوى الدولية الطامعة، فحدث صراع بين الإمبراطوريتين البريطانية «في الهند» والروسية خلال القرن التاسع عشر، وقد تشكلت حدود أفغانستان الحديثة بناء على هذا التنافس لتصبح دولة عازلة بين هـ تين الإمبراطوريتين، وفي القرن العشرين ظلت أفغانستان أيضا بسبب موقعها اجغرافي ميدانا للتنافس الأيديولوجي والتجاري بين روسيا ثم الاتحاد السوفيتي فيما بعد بريطانيا، ثم الاتحاد السوفيتي وأمريكا، وقد خاضت أفغانستان العديد من احروب ضد بريطانيا التي كانت تستهدف السيطرة عليها لتضمها إلى إمبراطوريتها الهندية في آسيا، مثل الحرب من ١٨٣٩ م – ١٨٤٢ م وأسفرت عن أسوأ هزيمة لبريطانيا في التاريخ الحديث، ثم عاودت بريطانيا الكرة ١٨٧٨ م – ١٨٨٠ م و نتهت أيضا هذه الحرب بانسحاب القوات البريطانية، ثم مرة أخرى عام ١٩١٩ م ءاستمرت عدة أسابيع، تقهقرت فيها القوات البريطانية إلى داخل الهند يتبعهم الأفغان مما اضطر بريطانيا لتوقيع معاهدة روالبندي في ٨/ ٨/ ١٩١٩ م التي اعترفت فيها بريطانيا باستقلال أفغانستان داخليا وخارجيا.

وبسبب الموقف الدقيق لأفغانستان في إطار الصراع بين القوى العظمى فإنها التزمت الحياد في الحربين العالميتين في القرن الماضي (١٩١٤م–١٩١٨م/ ١٩٣٩ م –١٩٤٥ م).

ومن ناحية الإمبراطورية الروسية ثم الاتحاد السوفيتي السابق، فإن العلاقات الأفغانية معها مرت بالعديد من الأحداث، فقد عقدت أفغانستان وروسيا معاهدة عام ١٨٧٣ م لرسم الحدود بينهما، واعترفت فيها روسيا باستقلال أفغانستان

وسيادتها على أراضيها ، وفي عام ١٩٢١ م وقعت أفغانستان مع الاتحاد السوفيتي الذي كان قد ظهر نتوه بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م معاهدة للصداقة والتعاون بين البلدين، وفي عام ١٩٥٦ م زادت المساعدات الروسية لأفغانستان ، وكذلك النفوذ السياسي والأيديولوجي ثم جاء الانقلاب الشيوعي في أفغانستان في ٢٧ أبريل ١٩٧٨م، ثم توقيع اتفاقية صداقة مع السوفيت في ٥/ ١٢/ ١٩٧٨ م ثم الغزو السوفيتي لأفغانستان في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م.

وقد تعاقب على حكم أفغانستان عدد من الملوك بدءا من أحمد شاه بابا ١٧٤٧م وانتهاء بالملك ظاهر شاه ١٩٣٣م – ١٩٧٣م ثم أطاح به رئيس وزرائه محمد داود في ١٧ يوليو ١٩٧٣م وأعلن قيام الجمهورية في أفغانستان، ثم جاء الانقلاب الشيوعي سنة ١٩٧٨ م ليطيح بمحمد داود ليحل محله نور الدين تراقي الذي ما لبث أن تعرض لانقلاب على يد حفيظ الله أمين في سبتمبر ١٩٧٩ م ثم تعرض حفيظ الله أمين لانقلاب مدعوم من السوفيت مباشرة هو انقلاب بابراك كارمل في ديسمبر ١٩٧٩ م ثم أقصى كارمل عن السلطة وأحل السوفييت محله محمد نجيب الله سنة ١٩٨٦ م ثم حكومة المجاهدين الأفغان مايو ١٩٩٢ م، ثم حركة طالبان منذ عام ١٩٩٦ م وحتى الآن.

***

الغزو السوفيتي لأفغانستان الذي بدأ عام ١٩٧٩ م، وانتهى عام ١٩٨٩ م تجربة تستحق الاهتمام، ذلك أنها ربما تكون نموذجا يحتذيه الشعب الأفغاني في مقاومته للغزو الأمريكي الجديد، وربما تكون نتائجه مشابهة أيضا، فينهزم الأمريكيون في أفغانستان ويحدث لهم ما حدث للسوفييت من تراجع وضعف.

الغزو السوفيتي لأفغانستان بدأ في ١٩٧٩ م لإسناد حكومة موالية، أو بالتحديد

تنصيب حكومة موالية، فالقوات السوفيتية هي التي أطاحت بحكومة حفيظ الله أمين، ثم جاءت بكارمل من المنفى لتجعله رئيسا للجمهورية،، لدرجة أن بابراك كارمل ألقى بيانه على الشعب الأفغاني عن طريق إذاعة طشقند وليس إذاعة كابول وفي نفس الوقت كان المزيد من القوات السوفيتية يتدفق برا وبحرا وجوا على أفغانستان عام ١٩٨٢ م ٨٥ ألف جندي، وصلوا إلى ١١٥ ألف جندي عام ١٩٨٥.

وهكذا فإن الشعب الأفغاني كان عليه أن يواجه نظاما عميلا، وأن يواجه جيش هذا النظام العميل، وأن يواجه ١١٥ ألف جندي وفي أقل الحالات ٨٥ ألف جندي سوفيتي مدعومين بطائرات ودبابات وصواريخ واستخبارات إحدى القوتين العظميين في ذلك الوقت، وبديهي أن الحدود السوفيتية مع أفغانستان كانت عاملا لصالح السوفييت، على عكس الأمريكان الذين عليهم أن يستأجروا أو يحصلوا على تسهيلات من باكستان وطاجيكستان وأوزبكستان.. إلخ، وكذلك علينا أن نقارن بين حجم القوات السوفيتية الغازية «١١٥ ألف جندي» وبين القوات الأمريكية « ٣٠ ألف جندي من قوات المارينز ودلتا وغيرها»، وكذلك إدراك أن الجيش البري السوفيتي كان هو الأكبر في ذلك الوقت.

ليس هذا فحسب، بل إن الأيديولوجية الشيوعية كانت تجد من يروج لها ويدافع عنها داخل أفغانستان وخارجها ، وهذا يجعل حشد الشعب الأفغاني في مواجهة السوفيت أصعب منه في مواجهة الأمريكان، وكذلك فإن السوفيت فعلوا كل شيء من أجل غسيل مخ الشعب الأفغاني، ومارسوا التضليل والقمع معا، وافتتحوا مدارس عقائدية، واستقدموا الشباب الأفغاني للدراسة في موسكو وغيرها، ولم يتورعوا كذلك عن القتل والتعذيب والحبس وكل أنواع القهر بحق الشعب الأفغاني.

وهكذا فإن المقارنة مع الظروف الحالية إبان الغزو الأمريكي ليست لصالح الأمريكان على طول الخط، اللهم إلا وجود حصار على أفغانستان من جيرانها، وهو أمر سوف يؤدي إلى سقوط طالبان ولكن هذه ليست النهاية، بل هي البداية، وسوف يتآكل النصر الأمريكي السريع على مر الأيام وسوف نرى.

ومع إدراك أن السوفيت خسروا ٤٠ ألف قتيل، وأن الشعب الأفغاني استطاع أن يمارس المقاومة بلا انقطاع حتى انتهى الأمر بانسحاب السوفيت عام ١٩٨٩م « ١٥ فبراير ١٩٨٩ م » لأمكننا توقع المصير المنتظر للغزو الأمريكي.

ولا ننسى هنا أن نقول إن قوات رمزية أو حقيقية جاءت من مختلف الدولة الشيوعية في ذلك الوقت لمساعدة السوفيت في حربهم ضد الشعب الأفغاني، جاءت قوات من كوبا وألمانيا الشرقية وبلغاريا واليمن الجنوبي «عدن» على غرار ما يحدث الآن من مشاركة بريطانية وفرنسية ويابانية وألمانية وكندية وأن السوفيت استخدموا جميع الأسلحة: الطائرات القاذفة والمقاتلة والمروحية وجميع الدبابات والعربات، والأسلحة الكيميائية أيضا ناهيك عن الأعمال الاستخباراتية لجهاز الـ K.G.B «جهاز المخابرات السوفيتي».

لننتظر ما تسفر عنه الأيام، أو السنوات، ونرى مصير الأمريكان على غرار مصير الروس أو العكس، صحيح أن الأمريكان قد حققوا انتصارات واضحة، فأطاحوا بنظام طالبان، ودمروا الكثير من قوات القاعدة، وأقاموا حكومة تابعة لهم في أفغانستان، ولكن السنوات ستقول كلمتها، لأن المقاومة ستنشأ حتى من بين الأنقاض، وسوف تتآكل القوات الأمريكية مع الوقت ومن يدري؟!

■ ■ ■

.. واكتشفنا أن

الإعلام الغربي كاذب

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

حقائق تكشف، ومفاجآت لنا ولغيرنا حدثت مع الغزو الأمريكي لأفغانستان؛ فقد اكتشفنا مثلا أن ما كان يروج له الإعلام الغربي من أن حركة طالبان قد ألغت الإذاعة أو أنها تحرم تعليم البنات ما هو إلا كذب صريح، ذلك أن الأخبار القادمة من أفغانستان عن طريق الإعلام الغربي ذاته تقول بأن الطائرات الأمريكية قد ضربت الإذاعة الأفغانية بالقنابل وأوقفتها عن البث، إلى حين قام المهندسون الأفغان بإصلاحها، فكيف تم إلغاء الإذاعة على يد حركة طالبان، وهي ذاتها تم استهدافها بالضرب؟!!

وكذلك نقلت إذاعة الـ B. B. C البريطانية في قسميها العربي والإنجليزي، وعلى شبكة الإنترنت أن صحفية إنجليزية قد زارت مدرسة البنات في شمال كابول، وأن تلك المدرسة استمرت تعمل رغم القصف الأمريكي، ورغم أن جدرانها كانت مثقوبة بفعل طلقات المدفعية التابعة للتحالف الشمالي للمعارضة، بل نقلت تلك الصحفية صورة عن مدى التقدم العلمي، والأدبي لبنات المدرسة، وأن بنات المدرسة كن على مستوى عال من الوعي السياسي، وإدراك أبعاد الأزمة بين حكومة طالبان والحكومة الأمريكية وأحداث ١١ سبتمبر وغيرها من القضايا المطروحة، فكيف يتفق هذا مع ما روجته دوائر الإعلام الغربي من أن حركة طالبان ترفض تعليم البنات؟!

وعلمنا في إطار هذا الصراع أن كلا من الملا عمر رئيس حركة طالبان وأسامة بن لادن، وعدد آخر من قيادات طالبان، وقيادات تنظيم القاعدة يجيدون استخدام وسائل الإعلام بما فيها شبكات التليفزيون، فكيف يتفق ذلك مع ما روّجته وسائل الإعلام الغربي عن تحريم هؤلاء للتليفزيون مثلا؟! ربما يكون هؤلاء يحرمون الإسفاف في التليفزيون وغير التليفزيون، وهذا شيء وتحريم التليفزيون كأداة لنقل

الطيب والخبيث شيء آخر، فالطيب مقبول والخبيث مرفوض وليس الأداة نفسها «التليفزيون» هو المحرم عندهم.

تواترت الأنباء أيضا عن أن الحكومة الأمريكية طلبت من شبكات التليفزيون والصحف ووسائل الإعلام المختلفة فرض نوع من الرقابة على نفسها وعدم بث وجهة نظر أسامة بن لادن أو قيادات طالبان، حتى لا يتأثر الرأي العام بهم، وهذا كلام يتنافى تماما مع حرية الرأي والإعلام الغربي والأمريكي المزعومة، لأن بث ما يتفق مع وجهة نظر طرف واحد هو نقيض الحرية تماما.

بل أكثر من ذلك ضغطت الحكومة الأمريكية على حكومة قطر لكي توقف قناة الجزيرة القطرية أو تمنعها من نقل ما يحدث في أفغانستان أو بث أحاديث أسامة بن لادن أو الملا عمر، واتهمت واشنطن قناة الجزيرة بأنها تروج للأفكار المعادية لأمريكا.. فهل هذه هي الحرية التي تفهمها أمريكا والغرب.

أضف إلى ذلك أن الحكومة الأمريكية قامت بشراء واحتكار كل الصور التي تلتقطها الأقمار الصناعية التجارية من أفغانستان، وذلك لكي تتحكم فيما ينقل أو لا ينقل من صور الضحايا أو الحياة في أفغانستان في ظل الغزو الأمريكي، فهل احتكار المادة الإعلامية يتفق مع حرية تداول المعلومات والصور وحرية الصحافة والإعلام عموما؟.

■ ■ ■

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

أمريكا
تضرب المدنيين

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

إذا سلمنا جدلا بأن أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، وطالبان التي تؤويه كلهم مسئولون عن أعمال الإرهاب، وإذا سلمنا جدلا بأن أمريكا – وهي لم تفعل – قدمت إلى محكمة دولية محايدة – الأدلة على ذلك ومن ثم صدر حكم من قضاة محايدين بإدانة هؤلاء، وحتى إذا سلمنا جدلا أن الولايات المتحدة الأمريكية هي شرطي العالم، وأنها تطارد شارون، وبن اليعازر، بل تطارد الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون بتهمة ضرب مصنع دواء مدني في السودان – بعد أن اعترفت الدوائر الأمريكية بأن لا صلة لهذا المصنع بالإرهاب أو أسامة بن لادن، وطاردت من أسقط الطائرة المدنية الإيرانية فوق مياه الخليج عام ١٩٨٨م، وقبلها الطائرة المدنية المصرية المدنية عام ١٩٧٢ م « طائرة مصر للطيران التي ماتت بها المذيعة المصرية المعروفة سلوى حجازي» وطاردت من ارتكب المذابح الاستعمارية في آسيا وأفريقيا ومن ارتكب جرائم الإبادة للهنود الحمر وسكان استراليا الأصليين، ومن ارتكب جرائم التفرقة العنصرية بل والاسترقاق العنصري.. إلخ.

إذا سلمنا جدلا بأن كل هذا حدث، فإن التحرك الأمريكي للقبض على أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة وقادة طالبان قد يكون مبررا، وبديهي بأن معاقبة هؤلاء لا تستدعي معاقبة الشعب الأفغاني، الفقير الجائع الضعيف، ولأن أمريكا ومن يروج لها يزعمون أنها تمتلك أحدث المعلومات وأدقها، وأن طائرات التجسس والأقمار الصناعية تستطيع بدقة أن تحدد ما يقوله الرجل لزوجته على فراش الزوجية، وتستطيع أن تصور بدقة ما يحدث على مساحة ١٠ سم٢، بل وتحديد نوع وشكل وحجم الحشرات في تلك المساحة، ولأنها تمتلك الصواريخ الذكية والقنابل التي لا تخطئ الهدف والموجهة بالليزر.. إلخ.. فإن من العبث أن نقول : إن الضربات الأمريكية التي أصابت المدنيين كانت نوعا من الخطأ الفني، اللهم إلا إذا كانت

أمريكا تكذب وتدعي في نفسها وقوتها واستخباراتها واستطلاعها ما ليس فيها.

وهكذا فإن جريمة ضرب المدنيين في أفغانستان جريمة غير مبررة في كل الأحوال وتستدعي محاكمة مرتكبيها، وتعويض الضحايا.

ومن المعروف حتى الآن، أن أمريكا ضربت قوات تابعة للأمم المتحدة، أو هيئات الإغاثة الدولية في أفغانستان، وضربت مستشفيات، وقصفت دور المسنين، وهدمت بيوتًا وأحياء وقرى كاملة ليس بها أي شبهة عسكرية، بل اعترفت بذلك كله مدعية أنه من قبيل الأخطاء الفنية.

وفي الحقيقة ، فإن قناة الجزيرة، والبريد الإليكتروني وغيرهما من وسائل الإعلام حافلة بصور ومعلومات عن مذابح الأمريكان للأفغان، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن قرية «كورام» التي تبعد ٤٠ كيلو مترا عن مدينة جلال آباد والتي كانت تضم من ٢٥: ٣٠ كوخا أو بيتا، نام أهلها مطمئنين ذات مساء من أكتوبر ٢٠٠١م، لتفاجئهم الطائرات الأمريكية من طراز الشبح والتنين السحري وتلقي عليهم أطنانا من القنابل ذات الألف رطل والخمسة آلاف رطل أيضا، فتهدم جميع البيوت، وتقتل جميع السكان أو تجرحهم « ٢٠١ قتيل، ١٧ جريحا » بل وأهلكت الأغنام والأبقار« حوالي ١٠٠٠ رأس غنم وماشية »، ولم ينج من المذبحة إلا هؤلاء الذين كانوا خارج القرية « حوالي ٣٠ فردا».

ويحكي أحد أبناء القرية الذي كان موجودا خارجها ساعة القصف، ويدعى تورخان أنه عاد ليجد حظيرة ماشيته يتصاعد منها الدخان ورائحة اللحم المشوي، فقد احترقت الأبقار، وليجد بيته مهدما، وقد دفن تحت أنقاضه أولاده الستة وزوجته. يقول تورخان: « أمريكا تريد قتل شعبنا وتركيعه، إنها لا تبحث عن طالبان أو القاعدة».

من القرية ذاتها عاد عبد الكريم الذي كان خارج القرية لشراء احتياجات الأسرة ساعة القصف، ليجد بقايا أطفاله الخمسة وزوجته وبقايا الصاروخ الذي مزق أجسادهم.

وكما يقول الصحفي محمد طعيمة في جريدة العربي الأسبوعية المصرية فإن كورام نموذج لثلاث عشرة قرية جبلية يسكنها رعاة يعيشون على الرعي وبيع الأحطاب التي تجمعها نساؤهم، لا يعرفون اسم بوش أو بلير أو بن لادن، ولكن قراهم تحولت إلى خرائب، واحترقت جثث زوجاتهم وأولادهم بل ومواشيهم.

وهكذا تختلط دماء وعظام الأبناء والزوجات، والرجال، بعظام ودماء ولحوم المواشي المحترقة، وركام المنازل وبقايا الصواريخ وقيم المدنية الأمريكية والأوروبية.

وما حدث في تلك القرى، حدث في الأحياء بالمدن، ومات المدنيون بالمئات وجرح الآلاف.. والبقية تأتي، ولا جديد في الأمر حين تجد أن بقايا الأقدام والرؤوس، أو بقايا أسرة كاملة أب وأم وأطفال، أو بقايا عروسين على سرير جريدي، كانا لتوهما قد تزوجا.. وشكرا للحضارة الأمريكية.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

سقوط طالبان

ومرحلة جديدة من الصراع

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

السقوط السريع لعدد من المدن الأفغانية بدءا من مزار الشريف ذات الموقع الاستراتيجي ثم حيرات وكابول وقندهار وغيرها من المدن الأفغانية بيد قوات التحالف الشمالي المعارض، تفتح ولا شك مرحلة جديدة من الصراع في أفغانستان وتغير المعادلات الإقليمية والدولية.

وبداية فإن صمود حركة طالبان من يوم ٧ أكتوبر ٢٠٠١ م حتى ١٣ نوفمبر ٢٠٠١ م أي ٣٧ يوما كاملة وما يزيد على خمسة أسابيع، ونقصد صمودها منذ بدأت الحرب يوم ٧ أكتوبر حتى سقوط كابول وعدد من المدن والمناطق الأفغانية الأخرى يوم ١٣ نوفمبر، هذا الصمود لم يكن متوقعا أصلا، نظرا لكثافة الضربات بالصواريخ وقنابل الـ ١٥ ألف رطل، والقنابل العنقودية، والغارات ليل نهار على المدن والمرافق وكل شيء تقريبا، وهذا الصمود غير المتوقع لطالبان طوال تلك المدة فتح الباب للتفاؤل بإمكانية استمرار هذا الصمود طويلا، ولكن الذي حدث أن انسحبت طالبان من المدن في غضون ساعات أو أيام قليلة، مما أربك الكثير من الخطط على الناحيتين وعلى أكثر من مستوى ، فالذين راهنوا على صمود طالبان أو كان لديهم الأمل في ذلك أصيبوا بإحباط شديد، وهذا بالطبع سيؤثر على حجم المعارضة الشعبية للمخطط الأمريكي في أفغانستان بل وفي العالم كله، وهو لا شك أمر سلبي، وكذلك فإن هناك قوى ودولًا راهنت على استمرار صمود طالبان أكثر من ذلك حتى يتأخر دورها في الأجندة الأمريكية التي تستهدفها بعد الخلاص من الموضوع الأفغاني، وحتى لو كانت هذه القوى والدول معادية لطالبان أصلا، فإنها كانت تود صمودها فترة أطول لإشعار أمريكا أن المسألة ليست سهلة، وحتى لا تنفتح شهية الأمريكان لمزيد من العمليات العسكرية ضد القوى المستهدفة مثل حزب الله وحماس والجهاد ، وبالتالي لبنان وسوريا وإيران، وأيضا العراق

والصومال والسودان واليمن.. إلخ.

ولا شك أن هذا السقوط المفاجئ لدفاعات طالبان والذي يعد في جزء منه نجاحا للحملة الأمريكية سوف يجعل كثيرا من هذه الدول تعيد ترتيب أوراقها وكذا خطابها، وربما تصرفاتها بصورة كبيرة، وهذا بالطبع سيأتي على حساب القوى المكافحة ضد إسرائيل مسلحة وغير مسلحة وعلى مجمل خطاب المجتمعات العربية ونعني الحكومة والجماهير والقوى الرسمية وغير الرسمية.

سقوط دفاعات طالبان بهذه الصورة أربك أيضا الطرف الآخر، أربك باكستان التي أصبحت هي الخاسر الأكبر من دخول التحالف الشمالي المعادي لها إلى كابول، وهو المتحالف في قطاع كبير منه مع الهند عدوة باكستان التقليدية ، وهكذا فإن أوراق باكستان تآكلت بسرعة.

الإنجاز الذي حققته قوات التحالف الشمالي، وسقوط دفاعات طالبان يعني أن زمن الاستحقاقات قد أتى، فحاجة الولايات المتحدة الأمريكية لباكستان وروسيا والصين وطاجيكستان وأوزبكستان وإيران قد قل كثيرا، وأن على هذه الدول أن تستعد لصراع أو على الأقل تنافس أو تجامل تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، وعليها أيضا أن تأخذ في اعتبارها أن قوة جديدة هي القوات الأمريكية التي نزلت لأول مرة بصورة واسعة إلى أراضي أفغانستان وأقامت أكثر من قاعدة بعد أن اطمأنت إلى عدم مواجهة قتال حقيقي من طالبان أو غيرها ، وهذا يعني أن لاعبا جديدا وقويا قد أصبح موجودا يريد التهام الجزء الأكبر من الكعكة إن لم يكن الكعكة كلها.

وهكذا فإن سقوط كابول ليس إلا فصلا جديدا من الصراع سيأخذ أشكالا أخرى، ويمكننا أن نرى سيناريوهات كثيرة منها : تقسيم أفغانستان، أو تركها في

حالة فوضى، أو وضعها تحت وصاية قوات دولية وحكومة متنوعة تشرف عليها الأمم المتحدة وكل هذا لن يزيد الطين إلا بلة، لأن العلم الأمريكي سيتغير إلى علم الأمم المتحدة، ولكن جوهر السيطرة والنفوذ الأمريكي سيظل كما هو، لأن قوات التحالف الشمالي أو قادة الفصائل المعارضة أو حكومة موسعة، أو حالة فوضى أو تقسيم، كل هذا لم يتم - والجميع يعرف ذلك - إلا بواسطة الضرب الأمريكي، ولو رفعت أمريكا يدها قليلا ؛ فإن الأمور لن تظل كما هي.

من هذه اللحظة فإن على الجميع أن يسترضي أمريكا، بعد أن كانت أمريكا تسترضي الجميع، وهكذا فإن سقوط دفاعات طالبان، أحرق كل أوراق المساومات لدى الأعداء والأصدقاء على حد سواء، وهو ما جعل الكثيرين في مختلف العواصم الإقليمية والدولية لا يرحب بدخول قوات المعارضة لكابول.

***

الصورة السابقة هي صورة ما يبدو فوق السطح، ولكن ربما يكون من المفيد تأمل التفاصيل، فقوات التحالف الشمالي لم تحقق هذا الإنجاز بفضل شجاعتها أو كفاءتها فهي لم تدخل في معارك أصلا، بل انسحبت قوات طالبان أصلا ولم تقاتل بجدية، وكان الفضل في ذلك شدة الضربات العسكرية الأمريكية، أي أن قوات التحالف لم تفعل سوى حصاد الزرع ولكنها عندما كانت في مواجهة مع طالبان بدون الدعم الأمريكي المباشر كانت مهزومة ، وكانت طالبان تسيطر على ٩٠٪ من الأرض، ومن ناحية أخرى فإن هذا الإنجاز الذي حققته قوات تحالف الشمال ليس إنجازا عسكريا ولا سياسيا، بل سينظر إليه الشعب الأفغاني على أنه خيانة، وأن الحكومة الجديدة أيا كان شكلها هي حكومة صنعتها القوى الأجنبية وهذا يذكرنا بحكومة بابراك كارمل الذي جاء على يد القوات السوفيتية، وقد سيطر ساعتها بفضل

تلك القوات على كل أفغانستان، ولكن هذا لم يؤدِ إلى استقرار الوضع، بل ظلت المقاومة تمارس دورها، وتآكلت السيطرة السوفيتية ومن ثم سيطرة الحكومات التابعة لها بدءا من كارمل وانتهاء بنجيب الله على مر الأيام والشهور والسنوات.

ما يمكن توقعه من خلال التدقيق في تفاصيل الصورة، هو أن قوات طالبان لم تدخل في معارك جدية، ولم يسقط أسراها بالآلاف ولم نر مواقعها محطمة، وهذا يعني أنها قررت الانسحاب، لأنها لم تعد قادرة على الاستمرار تحت الضرب، ولم تعد قادرة على ضبط الأمور وإدارة عجلة الحياة اليومية للمواطنين، ففضلت أن تنقل هذه الأعباء للمعارضة، وتتخلص بالتالي من مسئوليات صعبة ثم تحافظ على قواتها وتلجأ إلى الجبال وتبدأ حرب عصابات طويلة الأمد، وهذا يعني أنها قررت إطالة أمد الحرب والاحتفاظ بقواتها ما أمكن وعدم دخول معارك خاسرة مع قوة عظمى مدججة بالسلاح في المدن والأماكن المكشوفة، وبالتالي إعادة السيناريو السوفيتي ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، فالدعم الدولي والإقليمي للمقاومة الأفغانية ضد السوفيت كان له دوره في استمرار المقاومة، وهذا غير موجود الآن، ومن الصعب أيضا التكهن بعدم انهيار طالبان من الداخل لأسباب كثيرة، ولكن في كل الأحوال فإن انهيارها سيؤدي إلى ظهور زعامات أخرى وقوى أخرى تقود حركة المقاومة، لأن شعبا ما خاصة الشعب الأفغاني وعلى الأخص قبائل الباشتون لن تقبل بإقامة حكومات بأيدي الأجانب أيا كان شكلها، وهذا يجعل المسألة طويلة ومعقدة، ومن يدري إلى أين ستقود تلك المعادلات الجديدة المنطقة والعالم في السنوات القادمة؟! والطبيعي أن قتل الملا عمر وبن لادن وتفكيك طالبان والقاعدة لن يكون نهاية المطاف فالأفكار لا تموت وتراث المقاومة مستمر تحت سطح، خاصة مع استمرار حالة الظلم في العالم وفي المنطقة.

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

مستقبل الصراع مع أمريكا بعد نجاحها في أفغانستان

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

النجاحات التي حققتها القوات الأمريكية في أفغانستان، والتي أعطت أمريكا الكثير من الغطرسة والنفوذ في العالم، هذه النجاحات وشكل الصراع في أفغانستان في المستقبل القريب والبعيد، وكذا في منطقة وسط آسيا ثم أثر ذلك كله وتداعياته على المنطقة العربية والقضية الفلسطينية ، هذا كله ينبغي أن يكون محور اهتمام خاص للمحللين العرب تحديدا، حتى نعرف ماذا يراد بنا وماذا سيكون مصيرنا، وما الموقف الصحيح تجاه ذلك بداية فإن النجاح الأمريكي في أفغانستان، هو من نوع النصر الرخيص الجبان ، فالمواجهة غير متكافئة أصلا، الأمريكان استخدموا التحالف الشمالي لتحقيق أهدافهم، ولكن علينا أن ندرك أيضا أن في كل بلد تحالفا شماليا مماثلا، ولو لم يكن هذا التحالف موجودا، لأوجده الأمريكيون بالأموال والرشاوى، وفي المحصلة فإن هذا النصر الأمريكي لا يعبر عن شجاعة أو ذكاء ولكنه أيضا نوع من النجاح في النهاية ، ومن البديهي أن أمريكا لا يهمها أن نصفها بالفروسية مثلا، وكذلك علينا أن نتأمل في هذا الكم الهائل من اللامبالاة بحقوق الإنسان، والضرب بالأعراف الدولية عرض الحائط متمثلا في التمثيل بجثث القتلى، أو قتل الأسرى، في أكثر من مكان وحديث وزير الدفاع الأمريكي المباشر عن عدم رغبته في استلام أسرى ودعوته إلى قتلهم مباشرة، وهو أمر ينسف مصداقية القيم الغربية كلها – المزعومة وغير المزعومة – وعلى الجانب الآخر، فإن رواية طالبان تقول : إن الحرب لم تنته بعد، وأن خطة الانسحاب من المدن كانت معدة سلفا، وأن هذا سوف يسفر في المستقبل القريب عن حرب عصابات واسعة، بدأ يظهر جزء منها كما قال أيمن الظواهري في حديثه لمجلة المجلة اللندنية مؤخرا.

وأيا كان الأمر، فإن ما فعلته طالبان والقاعدة هو من نوع الشهادة على التاريخ، مثل الحسين بن علي في خروجه على الأمويين تماما، فرغم عدم تكافؤ القوى، فإن

اللحظة كانت تقتضي نوعا من المواجهة لإعلان البراءة وتحديد الحق من الباطل، ولولا ذلك لتكرس الباطل نظريا بعد تكريسه عمليا، بمعنى تحويل الباطل إلى حق، وضياع الحق والمصداقية إلى الأبد.

وسواء قتل بن لادن أو أسر، أو لم يعلم له أحد مكانا، وكذلك الملا عمر وزعماء القاعدة – والمسألة مسألة وقت في نظري فلن يهربوا إلى الأبد – فإن هؤلاء قد أدوا ما عليهم من واجب، وأنهم سيتحولون إلى رموز، وربما كان قتل بن لادن تحديدا مفجرا لتيار من الوعي والثورة في العالم، فالأفكار والمبادئ مثل تماثيل الشمع، تدب فيها الحياة بالاستشهاد.

***

من حق عناصر القاعدة علينا أن نشهد لهم بالشجاعة في المواجهة رغم ضعف الإمكانيات، ومن حق طالبان علينا أن نشهد أنها حققت وحدة أفغانستان خمسة أعوام متتالية، وأنها حققت الأمن، وأنه برحيلها رحل الأمن وانتهت الوحدة وسوف يدب الخلاف بين عناصر التحالف الأمريكي « الشمالي وغير الشمالي » ويكفي طالبان أنها كانت أول حركة تحرر وطني في العالم لا يفسد رجالها ولا ينهبون أموال البلاد كما حدث في كل الثورات التي وصلت إلى الحكم هنا وهناك ويكفيها أيضا أنها تصرفت بإحساس عال من المسئولية عن الناس في أفغانستان ، فقد انسحبت من المدن لتجنيب الناس المزيد من الضربات الأمريكية، وأيا كان مصير تلك الحركة فقد دخلت التاريخ من باب نظافة اليد والوفاء والإحساس بالمسئولية عن الجماهير، ورفض المساومة على مبادئها.

على أية حال فإن النجاح الأمريكي في أفغانستان أغرى أمريكا وإسرائيل بالمزيد وفتح شهيتها لالتهام كل من يقول..لا، وأصبح الحديث الآن جهرا عن ضرب

سوريا وإيران والعراق والسودان والصومال ولبنان، وحزب الله وحماس والجهاد، وهذا أمر خطير جدا على الواقع العربي، خصوصا أن الحكومات ضعيفة وعاجزة، بل إن البعض سوف يسارع إلى ضرب جزء من أبنائه وتمزيق نسيجه الحي لإرضاء أمريكا.

ومن تداعيات هذا النجاح إمكانيات ظهور خلف أمريكي روسي هندي في وسط آسيا، وأمريكا وضعت قواتها بالفعل وبنت قواعدها في طاجيكستان وأفغانستان، والهند خلعت قبعة الساحر ولبست القبعة الأمريكية وتشددت مع باكستان وضغطت في قضية كشمير، وباكستان بين شقي الرحى، وهي الخاسر الأكبر – كعموم المسلمين- من الموضوع الأفغاني، والمسلمون في كل مكان في العالم أصبحوا في موضع اتهام، وتداعت الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

ولكن لله تعالى تدابيره.. و﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾، والله تعالى لا يسمح بهذا الخلل في الكون: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾[1]، ولا أحد يدفع أمريكا الآن، فهل تفسد الأرض أم تتدخل عناية السماء.

■ ■ ■

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥١).

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

المتربصون بالعراق

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

انفتحت شهية الغول الأمريكي لاستعمار العالم كل العالم والحجة الجاهزة أو الذريعة التي لم تعد تنطلي على أحد محاربة الإرهاب ، ولكن المطلوب تسوية كل التوءات والحكومات والدول والجماعات المناوئة أو المعارضة أو حتى غير المتعاونة مع أمريكا بعد أفغانستان ، والحديث عن نشر القوات الأمريكية لمدة طويلة هناك في طاجيكستان وفي أفغانستان ثم في القرن الأفريقي عن طريق الصومال، وقبل ذلك أو بعده أو في التوقيت ذاته يدور الحديث عن تأديب العراق أو تمزيقه وتقسيمه واستخدام عناصر عراقية على غرار تحالف الشمال، وفي كل بلد يوجد من هو مستعد لبيع نفسه للأعداء والزعم بأنه بذلك يقضي على الإرهاب أو الديكتاتورية أو يحلم ببناء بلد معاصر متحضر تحت الأحذية الأمريكية الثقيلة.

الصقور في الإدارة الأمريكية واللوبي الصهيوني وأعداء الإنسانية عموما يفبركون بحماس الأدلة والآلة الإعلامية تعمل لتهيئة الرأي العام الأمريكي لضرب العراق..

جورج بوش الابن ومعه نائبه ديك تشيني يريد أن يظل العالم يلهث وأن تظل القوة الأمريكية تستعرض نفسها حتى لا يفكر أحد في المعارضة يوما للمخططات الأمريكية ، والأصح أنها المخططات الرأسمالية العسكرية – عسكرة العولمة – وإعادة الاستعمار القديم، جورج بوش الابن يريد أن يكرر سيناريو الأب ولكن الظروف مختلفة ربما لا ينسى جورج بوش الابن أن العراقيين حاولوا اغتيال جورج بوش الأب بسيارة مفخخة في الكويت عام ١٩٩٣ م بعد أن فقد الأب منصب الرئاسة وجاء إلى الكويت ليحتفل بما يسمى عيد تحرير الكويت من أبناء العم أو الأشقاء وهكذا ضرب الكويتيون يومها المثل في القبول بالعمل رعاة خنازير تحت حذاء الأمريكيين بدلا من أن يعملوا رعاة أغنام أو أبقار تحت حكم العراقيين ، وبالطبع لا

يصح تفسير السلوك الأمريكي فقط بمسألة ثأر الابن لوالده ، فالمسألة أكثر تعقيدا.

الانقسام الأمريكي حول توجيه ضربة للعراق أو إسقاط الحكومة لن يستمر بالطبع طويلا، فكل من الرئيس بوش ونائبه ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ونائبه بول ولفويتز يؤيدون الضربة ، وفي المقابل فإن وزير الخارجية كولن باول ونائبه ريتشارد ان ميتاج وجورج تينت مدير المخابرات المركزية الأمريكية يتحفظون على هذه الخطة، ولكن صوت العقل يضيع عادة أمام مصالح التحالف الرأسمالي العسكري الحاكم الحقيقي لأمريكا ، والمطلوب فقط تهيئة الجو الدولي، إقناع روسيا ذات المصالح الواسعة مع العراق وإقناع تركيا وغيرها من دول الجوار، وإقناع الدول العربية المعتدلة بهذا الأمر، ثم تهيئة الرأي العام الأمريكي والعالمي لتلك الخطة، اللوبي الصهيوني والمتحالفون وممثلو الرأسمالية والعسكرية في الإدارة الأمريكية وفي الكونجرس يضغطون بشدة لضرب العراق، والميديا الإعلامية تنشر صور الرئيس العراقي بجوار صور أسامة بن لادن، والسيد باتلر رئيس مفتشي الأمم المتحدة المشهور والذي انكشف أنه عميل للموساد والمخابرات الأمريكية معا ظهر على السطح مرة أخرى، ليقول : إن العراق يمتلك أسلحة خطيرة، جرثومية وكيميائية، وأنه هو الذي زود من قام بالحرب الجرثومية، بجرثومة الانتراكس – رغم أنه ثبت أن الجرثومة متشابهة مع ما كان ينتج داخل المعامل العسكرية الأمريكية ذاتها ، وهذا لا يهم، المهم هو « الزن » على أذن الرأي العام الأمريكي، وكذلك قال باتلر: إن العراق كان على علاقة بتنظيم القاعدة في السودان، وأن محمد عطا اجتمع مع مسئولين عراقيين في جمهورية التشيك بعد ذلك، وقد ثبت أن هذا أيضا غير صحيح ولكن من يسمع؟! فقد كذبت جمهورية التشيك نفسها ذلك، وما يقوله باتلر يقوله غيره في الإعلام الأمريكي بكثرة وتكرار حتى الملل هذه الأيام، والنتيجة أن

استطلاعات الرأي العام الأمريكي – الصحيحة أو الملفقة – تقول: إن ٦٦٪ من الشعب الأمريكي يؤيد العمل على إسقاط النظام العراقي.

صعوبة تنفيذ المخطط ضد العراق، حسب الرؤية الأمريكية التي يطرحها باول، أن العملية تحتاج إلى ١٨٠ ألف جندي أمريكي يقاتلون داخل العراق، وأن احتمالات فقد ٥٠ ٪ من هذه القوات أمر وارد، وأن العراق يمتلك قدرات عسكرية أكبر كثيرا من تنظيم القاعدة وحكومة طالبان التي أطاح بها الغزو الأمريكي لأفغانستان ، وأن على القوات الأمريكية أن تتعامل مع قوات مدربة تدريبا عاليا متمثلة في الحرس الجمهوري والقوات الخاصة التي يشرف عليها قصي نجل الرئيس العراقي ، وهي تضم ٢٠٠ ألف جندي بالإضافة إلى جيش القدس والجيش الشعبي« ٤ ملايين مقاتل » ، وأن العراق لا بد أنه أخذ في اعتباره الاحتياط لقصف الجوي وإخفاء أسلحته ومعداته حتى لا تطولها قنابل الطائرات والصواريخ عن بعد، وإلا فإن كل خبرات السنين السابقة والأحداث تكون قد أُهْدِرَتْ، وأن المعارضة العراقية لا تملك جنودا وعناصر ونفوذا على الأرض يمكن مقارنتها بالتحالف الشمالي في أفغانستان، أضف إلى ذلك أن الرفض العربي سيكون هذه المرة مختلفا؛ فليس هناك كويت محتلة والعراق غير أفغانستان في الوجدان العربي واقتراب الغول الأمريكي من سوريا ولبنان سيثير الاعتراض، وقد عبر السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية بقوله: إن توجيه ضربة لأي بلد عربي معناه نهاية التحالف ضد الإرهاب، وكذلك فإن مصر مثلا لديها ميزانية تصديرية إلى العراق في سنة ٢٠٠١ م مثلا بحوالي ١٨٠٠ مليون دولار ، وهي لا تريد أن تخسرها وأكثر، وزيارة المسئولين الاقتصاديين المصريين ورجال الأعمال إلى بغداد على قدم وساق، ومصر لا تريد أن تخسر ذلك، وبديهي أنها وسوريا مثلا لن

يقدمان جنودا كما حدث عام ١٩٩١م، وهكذا فإن الأمر مختلف، ولا بد من الاعتماد على قوات أمريكية مباشرة، وهذا يحتاج إلى أرض للانطلاق منها، كل هذه الاعتراضات والمتغيرات، لا يعيرها صقور واشنطن المتربصون بالعراق إذنا، فالكاتب الأمريكي «بايبس» رد بلسان الصقور قائلا: « لا يهم»، لا يهم أن نخسر أصدقاءنا في المنطقة، ولا يهم دعمهم، بل يهم كسب الحرب ضد الإرهاب لا كسب أصدقاء، والتحالف الدولي والمساعدة العربية مسألة شكلية لا أكثر ولا أقل، الحصول على أرض ينطلق منها الهجوم سهل، فتركيا جاهزة، وهي تكفي جدا، وعلى حد تعبير جيمس وولس مدير المخابرات الأمريكية السابق وهو من الداعين بقوة إلى ضرب العراق « فإن الطائرات الأمريكية يمكن أن تنطلق من الأراضي التركية، شمالا على أن تساندها الطائرات المنطلقة من الجنوب من فوق حاملات الطائرات الأمريكية في مياه الخليج، وهكذا أخذت زيارة بولنت أجاويد رئيس الوزراء التركي منتصف يناير ٢٠٠١ م أهمية خاصة، والأتراك كما يبدو جاهزون لتقديم هذه الخدمة، فوزير الدفاع التركي « صباح الدين شكماكو غلو» قال: إن حكومته مستعدة لمساعدة واشنطن في خططها المقررة، وكذا تصريحات رئيس الوزراء التركي بولنت أجاويد: بأنه من الوفاء لأمريكا أن نساعدها، فلطالما ساعدت تركيا في حربها ضد الإرهاب «بقصد مساعدتها في حربها ضد حزب العمال الكردستاني ودورها ، وفي القبض على زعيمه عبد الله أوجلان، الخطة – إذن تدخل مراحلها النهائية، وعلى حسب تصريحات مسئول أمريكي رفيع المستوى لمجلة النيوزويك الصادرة في أوائل يناير ٢٠٠٢م ، فإن المطروح الآن ليس إذا كانت الولايات المتحدة ستضرب العراق أم لا، بل السؤال هو متى؟!

السيد عمرو موسى، من جهته أحس بخطورة المسألة حيث صرح بأن توجيه

ضربة لأي بلد عربي معناه نهاية التحالف الدولي ضد الإرهاب، ولكن الحكومات العربية غائبة، رغم تهديد ذلك لمصالحها، والشعوب العربية مكبلة وأمريكا لم يعد يهمها أحد.

في هذا الإطار تأتي خطورة تحركات ما يسمى بالمعارضة التي أصبحت في معظمها عملية مباشرة للأمريكان، وكان ما يسمى جماعة المؤتمر الوطني العراقي قد قدمت خطة حرب معدلة لا تدعو فقط إلى قصف أمريكي جوي للعراق، بل نشر قوات أمريكية في شمال وجنوب العراق، وكان فرانسيس بروك قد تصور أنه من الممكن الإطاحة بالحكومة العراقية عن طريق تدريب فرقة من خمسة آلاف من المنشقين العراقيين يدعمهم مرتزقة، مع تحديد منطقة حظر برى يمنع فيها تحرك القوات الحكومية العراقية البرية والمشاة والمدرعات، وأن تدخل هذه القوة إلى جنوب العراق – حيث معظم النفط العراقي – ربما في قاعدة جوية مهجورة غرب البصرة مثلا وتبقى هناك وعلى حد قوله : « إذا استولت القوات المتمردة على البصرة فعندها تكون النهاية فإنك لا تحتاج الذهاب إلى بغداد أوقف عنها النفط فستنهار ».

وهكذا فإن ضرب العراق – ربما بات مسألة وقت، ولكن المؤكد أن من الضروري تحرك الدول العربية بسرعة، كي لا نقول يوما: أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الأهداف الحقيقية

للعدوان الأمريكي على الصومال

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

كما كان للعدوان الأمريكي على أفغانستان أهداف معلنة – هي القضاء على الإرهاب، وأهداف أخرى حقيقية غير معلنة اتخذت من موضوع الإرهاب وأحداث ١١ سبتمبر ذريعة مناسبة وقوية.. فإن العدوان الأمريكي المتوقع على الصومال يحمل نفس السمات، أي وجود أهداف معلنة وأخرى حقيقية..

ومن الضروري بالطبع البحث في ثنايا العلاقات الدولية، وأوضاع الجغرافيا السياسية ومناطق النفوذ في العالم وأهداف الولايات المتحدة الأمريكية بعد انفرادها بالقوة في العالم عقب سقوط المنظومة الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفيتي وتغير العلاقات وتوازنات القوى في العالم.

بداية فإن الأهداف المعلنة ثم نصف المعلنة، ثم غير المعلنة تشكل إطارا واحدا، وهي ذات علاقة ببعضها البعض، ولا يمكن علميا ولا موضوعيا فصلها عن بعضها البعض، اللهم إلا لدواعي البحث وتحديد ما فوق السطح ثم الجزء الغاطس من جبل الجليد.

الأهداف المعلنة كما روجتها وتروجها الأبواق الأمريكية، هي القضاء على الإرهاب، وادعاء وجود معسكرات وعناصر تابعة لتنظيم القاعدة في الصومال أو قوى ذات علاقة قوية بتنظيم القاعدة مثل الاتحاد الإسلامي الصومالي، وأن الاتحاد الإسلامي يحتفظ بمعسكرات في منطقة لوق على الحدود الصومالية الإثيوبية وجزيرة رأس كابمولف على الحدود الكينية الصومالية، إن تنظيم القاعدة يمتلك على الأقل معسكرا واحدا للتدريب في منطقة «جيدو» الصومالية، وأن هناك شبكة مالية تتولى مهام تمويل الإرهاب خصوصا مؤسسة البركات الصومالية التي قامت الولايات المتحدة بتجميد أرصدتها ووقف نشاطها.

وهذه الادعاءات الأمريكية هي ذاتها تثبت أن هناك أهدافا غير معلنة، فهذه

المعلومات مشكوك في مصداقيتها تمامًا لأنها جاءت من المخابر ت الإثيوبية – العدو التاريخي للصومال – أو جاءت من عدد من الفصائل الصومالية المستبعدة أو المهزومة ، وبالتالي صحبة المصلحة في تكرار تجربة تحالف الشمال الأفغاني والوصول على أسنة الرماح الأمريكية إلى السلطة بالتالي، ومما يؤكد فساد هذه الإدعاءات أن بعثة مراقبين من كبار موظفي الأمم المتحدة قامت بجولة في الصومال لتقييم الوضع الأمني والسياسي وزارت البعثة كل المناطق المزعوم وجود معسكرات بها منطقة جيدو، منطقة لوق، جزيرة رأس كابمولف« وأكدت الحكومة الصومالية تهافت هذه الادعاءات وناشدت الولايات المتحدة عدم التورط في معلومات يقدمها بعض المغرضين، ومن ناحية ثانية فإن شبكة التمويل المزعومة ما هي إلا مجموعة أهلية مصرفية تقوم بتحويلات مدخرات الصوماليين المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية إلى ذويهم في الصومال، لأن انهيار الدولة وعدم وجود بنوك موثوق بها جعل من الضروري نشأة مثل هذه المؤسسات لخدمة الصوماليين، وكانت التحويلات عن طريق هذه المؤسسة وغيرها تتم بمئات الدولارات وليس الآلاف أو الملايين، ولا شك أن تجميد نشاط مثل هذه المؤسسة الحيوية للصوماليين في الخارج يكشف عن مدى الغطرسة الأمريكية والنزق أيضا وعدم الإحساس بمدى الضرر الذي أصاب الأهالي في الصومال الذين كانوا يعيشون على مثل هذه التحويلات من أبنائهم في الخارج.

أما الحديث عن الاتحاد الإسلامي، فهو فصيل صومالي قد ضعف كثيرا ، ولم يعد هناك مبرر لملاحقته، وفي كل الأحوال فإن الصوماليين ليسوا على أجندة الاتهام في أحداث ١١ سبتمبر، ولكن ربما يكون السبب هنا – نصف المعلن – هو الثأر لما حدث للأمريكيين في الصومال عام ١٩٩٣م، وما دامت شهوة الانتقام قد انطلقت،

فلماذا لا يمارس الكاوبوي الأمريكي كل ما يريد في كل مكان، وينزل العقاب بكل شعب أو أمة أو حتى قارة مست شعر أمريكا ذات يوم، وهذا - في حد ذاته يدخلنا في الأسباب غير المعلنة، وهي نشر نوع من الخوف والرعب في العالم من خلال ما حدث في أفغانستان ، وما سوف يحدث في الصومال وغيرهما، بحيث لا يجرؤ أحد بعدها على معارضة أمريكا أو أن يقول : لا، وأن يقوم الجميع فورا بتنفيذ الأوامر و لأحلام الأمريكية وإلا تعرض للأهوال على طريقة « أحلام سيادتك أوامر يا أفندم».

الاستعدادات الأمريكية لضرب الصومال لم تعد تخطئها العين، والمسألة مسألة وقت، والضغط على الحكومة المؤقتة في الصومال حقق نتائجه ولم تجد تلك الحكومة مفرا من الموافقة على نشر القوات الأمريكية والسماح لتلك القوات بفعل ما تشاء على أرض الصومال، والمعلومات عن الأهداف المفترضة تم جمعها عن طريق بعض الفصائل، وعن طريق المخابرات الإثيوبية وعن طريق بعثة أمنية أمريكية – زارت الصومال وجمعت ما شاءت من المعلومات، وحصلت الإدارة الأمريكية على التسهيلات المطلوبة من جمهورية أرض الصومال لاستخدام ميناء ومطار مدينة بربرة لخدمة القوات الأمريكية – والألمانية التي سوف تشارك – وكذلك تم الحصول على تسهيلات من الحكومة الإثيوبية، والأخبار المتسربة تتحدث عن تجنيد عدد من الضباط السابقين في الجيش الصومالي وبعض الفصائل «على غرار تحالف الشمال الأفغاني»، وتعتزم كذلك إنشاء قاعدة عسكرية في مدينة بيداوة، لعل هذه القاعدة تفسر الأسباب الحقيقية للعدوان على الصومال، فالمسألة ببساطة شديدة، أن الولايات المتحدة الأمريكية قررت وراثة كل النفوذ الاستعماري في العالم وحدها، ومن أراد فليعمل من خلالها « بريطانيا، ألمانيا ... مثلا ».

بل قررت إعادة شكل الاستعمار القديم الذي ظننا يوما أنه انتهى من العالم، وذلك باحتلال بلاد ومناطق ووضع قوات فيها ، وإقامة حكومة أمريكية بالكامل فيها طوعا أو كرها، وبعد أن وضعت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها في آسيا وقواعدها في الخليج ، فإنها تستكمل الباقي بإقامة قواعد في القرن الأفريقي وفي أفريقيا عموما، والجميع بات يدرك ذلك ، فالراغبون في العمل من خلال أمريكا يؤيدون ضرب الصومال «بريطانيا – إيطاليا – ألمانيا » بل إن وزير الدفاع الألماني رودولف شاربينج أشار إلى أن الصومال سوف تكون مستهدفة بشكل حتمي والخلاف هو على التوقيت ليس إلا، أما فرنسا مثلا والتي تتمتع ببقايا نفوذ استعماري في أفريقيا فهي تعارض العمل العسكري الأمريكي في الصومال، طالبة أدلة دامغة على وجود شبكة القاعدة هناك، وأن يكون العمل من خلال الأمم المتحدة، فإذا صدر قرار بذلك على حد تصور فرنسا، فإنه من الأفضل دعوة الحكومة الصومالية لمطاردة وتصفية تلك العناصر فإذا نجحت كان بالطبع لا ترضاه الولايات المتحدة التي لا تستهدف لا القاعدة ولا الإرهاب ولكنها تستهدف نشر نفوذها الاستعماري التقليدي القديم، ويبدو أن عودة الاستعمار القديم من خلال الجيوش والحكومات العميلة هو الحقيقة الأولى التي صاحبت ظهور القرن الواحد والعشرين وسوف تشكل جزءا مهمًا من العلاقات الدولية في بداية هذا القرن.

فوا أسفاه على الجهود والتحليلات والتحركات التي تحدثت عن عنصر نهاية الاستعمار وعن تصفية الاستعمار وعن تلك الأحلام التي سادت العالم لنصف قرن كامل من القرن الماضي، وتبخرت في لحظات تحت اسم محاربة الإرهاب، وكان الاستعمار القديم في مرحلته الأولى – على أساس أن المرحلة الأمريكية هي المرحلة

الثانية – يزعم أنه جاء ليمدن ويطور الدول المستعمرة، والأمريكان جاءوا أيضا للقضاء على الإرهاب والتعصب ونشر التمدن.. نفس المنطق – نفس الوجوه..

الصومال بالطبع بالنسبة لنا ليست أفغانستان.. فالسيطرة الأمريكية وبالتالي الإسرائيلية عليها تعني تهديد الأمن القومي العربي مباشرة، أمن دولة الشمال الأفريقي العربي، أمن السودان ومصر تحديدا، أمن البحر الأحمر – « البحر العربي» أمن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية برمتها، خصرنا الجنوبي بالتحديد، وهكذا ، فالمسألة شديدة الخطورة، ومهما كانت حالتنا وضعفنا فيجب أن نتحرك لتقليل الخسارة على الأقل، وقد تحرك من هم أقل منا شأنا واهتماما ومن هم أكثر، تحرك أصحاب المصالح في أفريقيا من الدول الغربية، ألمانيا تحركت وأرسلت جيوشا وأساطيل.

وبحثت عن موضع أقدام بالتنسيق مع أمريكا وكذلك فعلت بريطانيا وإيطاليا، تحركت فرنسا، بل تحركت أيضا إثيوبيا وكينيا، وحاولا الحصول على شيء من امكاسب بتسريب معلومات ملفقة، والمساعدة في المجهود العسكري الأمريكي امتوقع وربط بعض المنظمات المعارضة أو القبلية بها بالاتحاد الإسلامي الصومالي ومن ثم بتنظيم القاعدة، وهكذا تحصل على النفوذ في الصومال وتكيد لحكومتها التي جاءت عن طريق توافق قبائلي تحت رعاية جيبوتي بعيدا عن كينيا والصومال، وتحصل على دعم أمريكي لها لتصفية كل أنواع المعارضة في إثيوبيا وكينيا خاصة امرتبطة أو المعبرة عن الأعراق الإسلامية، بل إن ما يسمى بمجلس المصالحة والإصلاح الصومالي سارع بالاتصال بالأمريكان وأعلن تأييده للحرب ضد الإرهاب والاستعداد لأن يُكَوِّنَ حكومة أمريكية في الصومال على غرار الحكومة الأفغانية.

وفي كل هذا فإن مصر والعرب ودول الشمال الأفريقي، والسعودية وغيرها من الدول العربية ذات الصلة المباشرة بالموضوع الصومالي وبالقرن الأفريقي لا تزال تتفرج من بعيد!!.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

استنساخ العقل

الإسلامي على الطريقة الأمريكية أخطر من الحرب والضرب

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

إذا كانت آلة العسكرية الأمريكية قد تحركت واستطاعت أن تدمر أفغانستان، ومن قبلها العراق، وتستعد للمزيد من التدمير لدول عربية وإسلامية أخرى، ناهيك عن التدمير عن طريق الوكيل الوحيد «إسرائيل» والذي أصاب ويصيب دول الجوار والفلسطينيين بالطبع، فإن آلة الإعلام والسياسة والاقتصاد تحركت بموازاة ذلك وقبل ذلك وبعده، وهكذا فنحن أمام حرب أمريكية شاملة تستهدف القضاء على أمتنا واستعادة استعمارنا استعمارا مباشرا، وكل هذا مفهوم، ولكن أخطر من الحرب والضرب محاولة تدمير الهوية عن طريق الغزو الثقافي والفكري الذي لا نستطيع صده أو رده، وأخطر منه وأخطر محاولة تغيير مناهج التعليم في الدول العربية والإسلامية وهي آخر قلاعنا، ولو تم ذلك – لا قدر الله – لكان هذا بداية النهاية الحقيقية لأمتنا، لأن التعليم هو حجر الأساس في بناء الشخصية، والمطلوب – من وجهة نظرهم – مسخ هذه الشخصية والقضاء على تميزها العقائدي والفكري ومن ثم السياسي والثقافي والحصول بالطبع على نسخة إنسانية مشوهة من النموذج الأمريكي قابلة للتبعية لأمريكا، بل مدمنة ومستمرة لتلك التبعية وتقبل بدور التابع والخادم بسهولة، وهذا الكلام جزء من مشروع أمريكي واسع النطاق لإعادة صياغة العالم أمريكيًّا وتسوية النتوءات والتمايزات الثقافية والعقائدية للشعوب، وبالتالي يصبح العالم ممهدا للخضوع للهيمنة الأمريكية بدون مقاومة تذكر.

الأخبار تواترت عن تقديم الولايات المتحدة الأمريكية لعدد من المذكرات إلى الدول العربية والإسلامية تدعو إلى إعادة النظر في تدريس المناهج الدينية والتاريخية والثقافية، ورفع فكرة الجهاد والمقاومة، وتغيير كل ما يتصل بالتاريخ الإسلامي ضد الصليبيين أو الإسرائيليين، وكذلك رفع ما يتصل بأخلاق اليهود في القرآن

الكريم، والدعوة إلى ما تسميه تلك المذكرات: التسامح الديني – وإن شئت سَمِّه: (الخضوع العربي) لأننا أصلا أمة التسامح، ولن يعلمنا الغرب التسامح، بل نحن الذين علمنا العالم هذا التسامح – وغيرها من المفاهيم المتصلة بالعولمة، وإذا أضفنا إلى ذلك التدخل الأمريكي في شئون الأقليات، وكذلك الاحتجاج على تجريم جريمة الشذوذ أو غيرها، لأمكننا أن نفهم ما هو المراد بنا.

بالطبع فإن تلك المطالب ليست جديدة، وحدث شيء منها إبان توقيع مصر اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨ م والدخول في منزلق التطبيع مع الكيان الصهيوني، وكذا عندما تم تسلل الأمريكيين إلى مراكز البحوث التربوية والتعليمية في مصر عن طريق برنامج المعونات الأمريكي وتم تشويه عدد من المقررات الدراسية، وضغط ساعات اللغة العربية لحساب اللغات الأجنبية وكذلك تغيير المفاهيم وتسريب ما أمكن من المفاهيم المتأمركة، ولكن الجديد هو أن الطلب هذه المرة محدد ولا يلجأ إلى التسلل بل هو مطلب واضح وحاد وقطعي وإلا فالحرب !! والأمر شديد الخطورة بالطبع، ولا ننسى في هذا الصدد أن إسحاق شامير كان قد طالب بإلغاء كلمة «الجهاد» من القاموس الإسلامي «القرآن والسنة» وذلك في مؤتمر مدريد عام ١٩٩٢م في إطار الحديث عن عملية السلام المزعومة ، وكأن السلام لا يستقر إلا بإلغاء عقائدنا وتحريف نصوصنا الدينية الربانية والنبوية.

ويقال إن عددا من الدول العربية قد استجاب – كنوع من الانحناء للعاصفة وسوف تتم مراعاة ذلك بالتدريج على حد قولهم، ونذكر هنا ما قاله المعلق الأمريكي الشهير توماس فريدمان «من الآن وحتى السنوات العشر المقبلة سنعمل على استنساخ عقل إسلامي يفكر على طريقتنا نحن الأمريكان».

وهكذا فنحن بصدد إظهار طبعة منقحة من الإسلام «الإسلام الأمريكي» يقوم

به خبراء التربية والثقافة الأمريكيين بإعادة صيغة الإسلام على الطريقة الأمريكية، إسلام بلا رجولة ولا تميز ولا هوية، ولا روح مقاومة، وهو أمر يعني مباشرة حذف معظم آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الولاء والبراء، أو عن الجهاد والحرب والمقاومة، أو عن بني إسرائيل، وكذلك إلغاء تاريخنا الذي عشناه وعرفناه، والذي يشكل الغزو والتحدي الصليبي الغربي جزءا كبيرا منه، ليس فقط في الحملات الصليبية على الشرق من ١٠٩٨ م – ١٢٩٥ م، أي تلك التي حدثت طوال ٢٠٠ عام على فلسطين والشام ومصر وتونس بل أيضا في كل المواجهات في الأندلس وفي المغرب العربي « حرب الألف عام »، ثم المواجهة في قلب أوروبا « الدولة العثمانية » وعلينا أن نسقط من ذاكرتنا بالتالي صلاح الدين الأيوبي وعماد الدين زنكي، بل وخالد بن الوليد ومحمد الفاتح.

هذا المطلب الأمريكي لن يكون الأخير بالطبع، وبالتالي فرفضه وتحمل نتيجة ذلك سيكون أفضل من القبول به ومحاولة الالتفاف عليه، لأن هذا المطلب ستتبعه مطالب، بإلغاء جامعة الأزهر مثلا، والزيتونة والقرويين وفاس والنجف وقم، أو الخضوع لنوع من التفتيش على خطب الجمعة والعيدين، أو إلغاء المدارس الدينية والجامعات الدينية عموما، وفي مرحلة لاحقة محاولة فرض اللغات الأجنبية « الإنجليزية مثلا » كلغة رسمية ولغة لتلقي التعليم بدعوى العصرية والقضاء على منابع الإرهاب، وهذا ليس غريبا على العقل الغربي الذي تمثل أمريكا النسخة الأخيرة له، فقد فعلتها فرنسا في الجزائر ووصل الأمر إلى حد تجريم تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم ومعاقبة من يقوم بذلك، ولكن الشعب الجزائري مارس تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم سرًّا وكان هذا جزءا من عملية الثورة على المستعمر وشكلا من أشكال مقاومته.

إنها ، إذن ، حرب أمريكية على الهوية، لا يقبلها أحد ذو كرامة وتدخل في صميم شئوننا الداخلية، بل ومساس خطير بالأمن القومي، وهنا نسأل سؤالا بريئا: هل يسمح لنا الأمريكيون أو الإسرائيليون مثلا بالتفتيش في مناهجهم التعليمية، ومطالبتهم بتغيير بعضها لأن بها أمورا تمسنا؟! ومن المعروف أن تلك المناهج مليئة بالافتراءات على العرب والمسلمين وعلى الدين الإسلامي تحديدا وعلى الحضارة الإسلامية، وترسم صورة مغايرة للحقيقة وتزرع وجدانا معاديا في العقل الغربي ضد كل ما هو عربي وإسلامي، وهل يسمح لنا الأمريكيون والإسرائيليون بالمطالبة بتغيير القوانين العنصرية ضد الأجانب في القانون الأمريكي والإسرائيلي خاصة ما تمت صياغته بعد ١١ سبتمبر؟

ومن المهم هنا أن نذكر مثلا، أن إسرائيل لا تسمح طبقا للقانون الإسرائيلي بممارسة التبشير المسيحي على أرضها، وكذلك فإن أحدا لا يجرؤ على تغيير المناهج الإسرائيلية الممتلئة بالأساطير التاريخية والعداء والحقد والمناهج العنصرية الإسرائيلية ضد العرب الذين هم غير موجودين أصلا، وإن وجدوا فعلى الإسرائيلي قتلهم أو طردهم، ثم إن المدارس الدينية الإسرائيلية التي أفرزت أمثال إيجال عامير قاتل رابين، وباروخ جولد شتاين مرتكب مجزرة المسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل، هذه المدارس تحظى بالدعم الحكومي الإسرائيلي، ولا يجرؤ الأمريكان مثلا على المطالبة بإلغائها أو تعديل مناهجها، بل كل إسرائيل كمجتمع وفكرة وحكومة ومدارس وتعليم وتربية كلها عنصرية حتى النخاع ولا تجرؤ أمريكا على المطالبة بتغيير عقلها مثلا!!

المطلب الأمريكي خطير شكلا ومضمونا، وهو جزء من الحملة على العالم الإسلامي، بل دخول في منطقة الألغام، لأن أحدا لن يقبل هنا بسهولة، وربط

الموضوع بالإرهاب مغالطة خطيرة، فالإرهابيون المزعومون بمن فيهم المتهمون بارتكاب حوادث ١١ سبتمبر ليسوا خريجي المدارس الدينية، بل خريجو مدارس مدنية وبعضهم تعلم في الغرب، وكذا فإن عددا كبيرا من قادة وعناصر القاعدة بمن فيهم أسامة بن لادن وأيمن الظواهري كلهم من غير خريجي المدارس الدينية، بل إن عددا لا بأس به من ذوي الأصول – وليس الجنسية فقط – الإنجليزية والأمريكية والفرنسية وغيرهم الذين دخلوا في الإسلام حديثا أو منذ فترة قاتلوا في صفوف طالبان، أو قاموا بمحاولة اختطاف طائرات « وريتشارد ريدلي مثلا »، وهم ليسوا خريجي مدارس دينية إسلامية، بل تعلموا وتربوا وشربوا ثقافتهم من مجتمعات غربية، وهكذا فإن ربط الموضوع بالإرهاب هو نوع من الخداع والصحيح أن محاربة الإرهاب تستخدم كذريعة لتمرير أمركة العالم، وإعادة بناء العقل الإسلامي على النمط الأمريكي.

ولا شك أن من دواعي الاستفزاز لعقلنا وحضارتنا أن يزعم الأمريكيون أو غيرهم، أننا نحتاج إلى من يلقننا مفاهيم الحرية أو حقوق الأقليات أو احترام المرأة أو غيرها من المفاهيم ؛ لأن ذلك كله جزء لا يتجزأ من قيمنا الحضارية أكثر من الغرب عشرات المرات، فالحرية من صميم المنهج الإسلامي، بل هي مقدمة على التوحيد لأن حرية الاختيار أساس المسئولية والحساب والعقاب وكذلك ضرب نصنا النظري «الكتاب والسنة» وتراثنا الحضاري وممارساتنا ـ أروع أمثلة التعايش بين الأقليات ومختلف الأجناس والأعراق، ويكفي أن أقليات عرقية ودينية عاشت ولا تزال في كنف المجتمعات الإسلامية ولم يحدث لها تطهير عرقي كما حدث ويحدث في الغرب « أوربا وأمريكا » حتى الآن تقريبا، والحرية الغربية مثلا حرية عنصرية وإلا لماذا يسكت الغرب وأمريكا على انتهاك تلك الحرية بصورة يومية

وعلى مدار الساعة في فلسطين المحتلة منذ ٥٤ عاما وقبله عشرات الأعوام، والأمثلة أكثر من أن تحصى في إطار العنصرية الغربية تجاه الآخر بل تجاه المرأة، وهكذا ففاقد الشيء لا يعطيه فلن يعلمنا الغرب وأمريكا قيما هم أنفسهم يفتقدونها على المستويين العالمي والإنساني.

ولا يعني هذا بالطبع أننا نرفض التطوير أو الاستفادة من كل تقدم وكل قيمة صحيحة ونبيلة « فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها »، شريطة ألا يكون ذلك نوعا من الإملاء، وشريطة أن يكون ذلك أمرا صحيًّا وليس في إطار إعادة تشكيل وتنميط العالم بما يتلاءم مع عنصر الهيمنة الأمريكية.

■ ■ ■

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

بن لادن ...

رجل في مواجهة أمريكا

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

■ أسامة بن لادن رجل في مواجهة أمريكا

أسامة بن لادن ذلك الرجل المنسوب إليه تدبير عملية ١١ سبتمبر أي تدمير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك « رمز الرأسمالية والعولمة » وأحد مباني وزارة الدفاع ، لأن أحدا لم يفكر قبل بن لادن في الهجوم على الداخل الأمريكي أو عبور المحيط لغزو أمريكا منذ استقلالها عن بريطانيا، وفي الوقت ذاته فإن تلك لوزارة وزارة الحرب أو « البنتاجون » هي التي خططت وأدارت مئات الحروب في كل مكان بالعالم، وهي وحدها التي قصف رجالها المدن بالقنابل الذرية.

أسامة بن لادن.. المنسوب إليه قتل الآلاف.. من الأمريكيين والمتسبب في خسائر لا حصر لها اقتصادية ونفسية.. بل الذي جعل من أمريكا ومخابراتها وقادتها أضحوكة بين الشعوب، وأسقط الهيبة الأمريكية في ساعة أو بعض ساعة.

هذا الرجل الذي أثار ولا يزال يثير الرعب داخل أمريكا وأوربا، وتقوم أمريكا - من أجل القبض عليه - بغزو دولة أفغانستان وإرسال الأساطيل والطائرات والضرب بالصواريخ والقنابل زنة الـ ٥٠٠٠ رطل، وتحريك الجيوش، وطلب النصرة من الحلفاء. هذا الرجل الذي ذهب إليه لإحضاره - حيا أو ميتا كما يقول الرئيس الأمريكي بوش - ٤٤ ألف كوماندوز، و٥ آلاف طائرة هليوكوبتر، ورصد له الرئيس الأمريكي ٤٠٠ مليون دولار لمن يقدم معلومات تؤدي إلى القبض عليه أو معرفة مكانه، وحشد له ٣٨٠٠ عميل ومخبر سري وهو أكبر عدد من العملاء الذين يشتركون في عملية سرية في كل تاريخ الأجهزة الرهيبة والخفية في تاريخ العالم، وذلك للوصول إليه أو إغراء أحد أعوانه بخيانته.

هذا الرجل الذي تحول إلى بطل شعبي وأسطورة، وأصبح محبوبا جدا لدى الفقراء في كل مكان، والعرب والمسلمين بصورة خاصة، والفلسطينيين بصورة

أخص، هذا الرجل الذي يرفع المتظاهرون صوره في كل مكان في باكستان، أندونيسيا، مصر، المغرب، السودان، ماليزيا.. إلخ، هذا الرجل الذي أصبح معبود نساء الغرب، والصورة المثلى للرجل المثير لخيال هؤلاء النساء الغربيات. لدرجة أن تطبع صوره على ملابسهن ويتحدثن سرا وعلنا عن سر الجاذبية الجنسية التي يتمتع بها أسامة بن لادن لا فرق في ذلك بين النساء العاديات والمثقفات، فالصحفية الإنجليزية جين ماركاتني ، الصحفية بصحيفة التلجراف اللندنية تعترف بأنها مشدودة مثل غيرها من نساء الغرب إلى تلك النظرة الصارمة التي تحملها عينا أسامة بن لادن، تقول جين ماكارتني: « أسامة بن لادن ليس تشي جيفارا، فهو رجل مختلف تماما في الشكل والمنظر والمظهر والكلام، إنه مثل فالنتينو، إنه مثال للأسطورة الرومانسية، صحيح أن أسامة بن لادن ليس جيفارا لكنه يبدو لنا نحن النساء أكثر صرامة وحسما في عمامته البيضاء، إنه رجل يبدو في كامل صفات القوة ».

وتضيف الصحفية الإنجليزية«ماكارتني»: « إن هذه الحالة البيولوجية والسيكولوجية التي تعيشها نساء الغرب الآن هي نفسها سواء كان أسامة بن لادن إرهابيا أو لم يكن، من أي أرض جاء وإلى أي مكان ارتحل، بل إن أسامة بن لادن بالنسبة لنساء الغرب هو الحامي الدائم لهن، وهو لم يسئ إليهن ولن يكون عدوهن وتختتم كلامها بقولها : نحن نعيش عصر الأسامية الحريمية بكل ما فيها من عبق الإرهاب، والشبق والانطلاق والانفلات، إنها بداية عصر جديد ».

أسامة بن لادن ذلك الاسم الذي تحول إلى رمز وبطل لدى كل هؤلاء الفقراء الذين تسحقهم العولمة، والرأسمالية والاستعمار والنهب، وهؤلاء المطحونون تحت أحذية الطغاة، وكل من يشعر بالظلم في العصر الأمريكي أسامة بن لادن الذي صوره البعض على أنه جيفارا العصر، الذي ترك المال والسلطة ورفاهية الحياة

يمارس فعل الثورة النبيل، وصوره آخرون على أنه مانسون زعيم الهيبيز الذين رفضوا الحضارة الظالمة واحتجوا عليها سلبيا – وبديهي أنه ليس مثل مانسون، فابن لادن لم يلجأ إلى السلبية بل قام بفعل إيجابي أيا كان الرأي في هذا الفعل المنسوب إليه – وصورته النساء في الغرب على أنه فالنتينو « الرومانسي » ووصل الأمر إلى أن تصفه إحدى الصحف الأمريكية بأنه فنان شامل، موهوب في الإخراج المسرحي، ويفهم في كتابه السيناريو والحوار والملابس والإكسسوار والديكور من خلال تحليل شكله وملابسه وخلفية الصور والكلام الذي قاله وطريقة نطقه في بيانه المسجل تليفزيونيا والذي أذاعته قناة الجزيرة القطرية، أسامة بن لادن الذي أجاد استخدام الآلة الإعلامية لدرجة جعلت المسئولين الأمريكيين يطلبون ويضغطون على وسائل الإعلام لعدم نشر تسجيلات معه أو نقل كلامه حتى لا يؤثر على الرأي العام، رغم أن ذلك طبعا ينسف فكرة حرية الإعلام الأمريكية – المزعومة – نسفا.

من هو أسامة بن لادن، هل هو البطل القديس الثائر على الاستكبار الأمريكي والزاهد في رفاهية الحياة والتارك لمال ونفوذ أسرته واتجه للجهاد والمقاومة والثورة، أم هو ذلك الإرهابي المعقد، الذي صنعته المخابرات الأمريكية ثم انقلب عليها، أم هو تاجر المخدرات الذي يزرع الحشيش والأفيون في أحراش أفغانستان ويصدرها إلى أوروبا ويحصل على المال ليمول به عملياته الإرهابية؟!

أسامة بن لادن، هو ذلك الرجل السعودي، الجنسية – والتي أسقطت عنه الحكومة السعودية تلك الجنسية فيما بعد – والمولود في الرياض عام ١٩٥٧ م، والذي ترجع جذور والده إلى حضر موت باليمن، وأمه سورية الأصل، ترتيبه الثالث والأربعون بين إخوته وبين الذكور هو الحادي والعشرون «عدد إخوته الذكور والبنات ٥٣ أنجبهم والده من ١٣ زوجة».كان أبوه حمالا بسيطا، جاء إلى

المملكة العربية السعودية من اليمن، وعمل بلا كلل حتى أصبح أكبر مقاول إنشاءات في المملكة العربية السعودية وحقق من عمله ذلك ثروة كبيرة، يقدر البعض نصيب أسامة فيها بحوالي ٣٠٠ مليون دولار، كان الأب عصاميا، ومتواضعا ويميل إلى التدين، وقد احتفظ هذا الوالد – بعد ثرائه – بالكيس « القفة » التي كان يستخدمها عندما كان حمالا، وعلَّقها في مكان بارز في منزله حتى لا ينسى أو ينسى أبناؤه فضل الله عليهم ولا يغتروا بمالهم على الناس.

نشأ أسامة نشأة أخلاقية ودينية، وكان مجلس والده يضم عادة علماء الدين البارزين، فقد كان الوالد يرتبط بهم بصلات قوية وصداقة ، وغالبا كان لا يبخل عليهم بالمال، وسمع أسامة في هذه المجالس قضايا الإسلام، وتحديات العالم الإسلامي، ورأي الإسلام وعلماء الإسلام في الأمور المطروحة. ولا شك أن ذلك ساهم في تشكيل وعيه الديني والسياسي، ولا شك أيضا أن مجمل التطورات العالمية والمحلية التي كان العالم والمنطقة يضطرمان بها قد صقل وعيه مبكرا، خصوصا قضية الصراع مع إسرائيل، وكذا تصاعد المد الإسلامي في فترات شباب بن لادن، حصل بن لادن على شهادة جامعية عليا في الإدارة من إحدى الجامعات السعودية، وعمل مع إخوته في المقاولات وكان نشاطه نسخة منهم، إلا أنه تميز عن إخوانه في نشاطاته المستقلة، بالمحافظة على صفة الحلال للمال، عدم الاستثمار إلا في البلاد الإسلامية إلا لضرورة، تحاشى شبهة الربا، تجنب الاستثمار في البورصة والأسهم الغربية، يصفه أتباعه بأنه على درجة جيدة من الذكاء والثقة بالنفس ودقة الملاحظة والبديهية وأنه يتريث في اتخاذ قراراته ويلجأ إلى المشورة دائما، كما يصفه أتباعه بالشجاعة، ويقولون : إنه من الممكن أن تنفجر قنبلة بجانبه ولا تتحرك منه شعرة، وقد تعرض خلال جهاده في أفغانستان إلى أربعين حادثة قصف ثقيل دون أن يشعر

بالخوف أو يفر من المعركة، وهو يتمنى الشهادة، وقد جرح عدة مرات وأشرف على الموت، وهو - رغم ذلك - حذر جدا، فهو لا يسمح بوجود أجهزة إليكترونية في المكان الذي يقيم فيه حتى لا تساعد في الاستدلال عليه من خلال أجهزة خاصة، وإنه لا يثق إلا في المجموعة التي يعرفها جيدا، ويحيط تحركاته وقراراته بالسرية التامة، ويجيد استخدام وسائل وحيل التضليل، ويرى كثير ممن قابلوه أنه قليل الكلام لا يرفع صوته غالبا ولا يبالغ في الضحك، صبور يتحمل الصعاب، له شعبية قوية عند أتباعه؛ فهم يحبونه حبا جمًّا، يتجنب التميز عن أتباعه ويشارك المرافقين له في كل نشاطاتهم وحياتهم اليومية ويعيش مثلهم في المأكل والملبس والمسكن.

تزوج بن لادن مبكرا، في سن ١٧ سنة، ثم تعددت زوجاته فيما بعد، وله الكثير من الأولاد «لا أحد يعرف عددهم بالضبط».

عندما غزا الروس أفغانستان سنة ١٩٧٩م، حدثت ضجة واسعة في العالم الإسلامي خاصة في السعودية ومصر احتجاجا على هذا الغزو، وتداعى الكثيرون للجهاد بالمال والنفس ومساعدة الأفغان في حربهم، فسافر أسامة على الفور إلى هناك والتقى بقادة المقاومة ثم عاد بعد شهر واحد، ليقوم بتنظيم حملة تبرعات ومساندة للأفغان، وتكررت رحلاته إلى باكستان بغرض تقديم الدعم.

وفي عام ١٩٨٢م اجتاز الحدود إلى داخل أفغانستان وشارك بنفسه في القتال ثم قرر أن يقوم من خلال شركته بإنشاء طرق ومعسكرات وشق الجبال لمساعدة المقاومة الأفغانية، ونجح في ذلك نجاحا كبيرا، وفي عام ١٩٨٤ م أنشأ بيت الأنصار في بيشاور كمحطة لاستقبال المتطوعين القادمين من البلاد العربية وتدريبهم وإدخالهم إلى مناطق القتال، وقد زادت حركة التطوع من العرب عام ١٩٨٦م -

١٩٨٨ م فقرر أن يسجل ذلك في سجل خاص يتابع به حالة كل شخص إذا استعلم عنه أهله أمكن الإجابة عليهم، وقد سَمَّى هذا السجل بسجل القاعدة، وأطلق اسم تنظيم القاعدة على أتباع بن لادن لهذا السبب وفي تلك الفترة استطاع أسامة بن لادن أن يقيم علاقات واسعة مع الجيش الباكستاني، والقادة الأفغان، والمتطوعين العرب، وقد ساعده ذلك كله في تشكيل تنظيم القاعدة وإدارة علاقاته بالقوى المحيطة به فيما بعد، وقد حظي بن لادن باحترام جميع الفرق والقوى والقبائل والشباب المقاتل، لأنه كان يقاتل بنفسه ويصمد كثيرا في المعارك وبرزت له بطولات خاصة في عدد من المعارك منها معركة مأسدة الأنصار التي وقعت في شهر يونيو عام ١٩٨٧م، وقال عنها أحد القادة الأفغان وهو عبد رب الرسول سياف: « إن الإخوة العرب في مأسدة الأنصار قد أثبتوا بسالة كانت محل إعجاب الجميع ».

بعد هزيمة السوفيت وخروجه من أفغانستان، عاد أسامة بن لادن إلى السعودية، ثم أحس بأنه محاصر فقرر الرحيل إلى باكستان ومن ثم إلى السودان، إلا أنه صدر قرار بتجميد أمواله في السعودية عام ١٩٩٢ م لأنه كان يعارض الوجود الأجنبي « الأمريكي – الإنجليزي » في الخليج عموما وفي السعودية خصوصا، وفي عام ١٩٩٤م صدر قرار سعودي بحرمانه من جنسيته، وفي إبان تلك الفترة قام أسامة بن لادن بتنفيذ عدد من المشروعات في السودان، منها طريق التحدي الذي يربط بين بور سودان والخرطوم، وكانت تكاليف المشروعات التي نفذتها شركات أسامة بن لادن في السودان حوالي ٢٠٠ مليون دولار لم تدفع الحكومة السودانية منها إلا ١٠٪، وفي عام ١٩٩٥ م حدث انفجار في الرياض « نوفمبر ١٩٩٥ م» ونسب إلى مجموعة متأثرة ببن لادن وتنظيم القاعدة، وأحس أسامة بن لادن بأن هناك ضغوطا على السودان وأنها لم تعد تحتمل إقامته، فرحل عنها إلى أفغانستان في عام ١٩٩٥م،

وهناك كان في استقباله الشيخ يونس خالص والشيخ حقاني، ما أن وصل إلى أفغانستان حتى أعلن عدم الدخول في الصراعات التي كانت محتدمة بين الفصائل في ذلك الوقت وكانت حركة طالبان قد بدأت تظهر منذ عام ١٩٩٤م، ثم زحفت إلى جلال آباد حيث كان يقيم أسامة بن لادن وكان كل من الشيخ يونس خالص، و لشيخ حقان قد انضما إلى حركة طالبان وتم ترتيب مقابلة بين الملا عمر زعيم طالبان وأسامة بن لادن، وأعلن الملا عمر أن أسامة بن لادن في ضيافة طالبان، وفي عام ١٩٩٦م، وعندما استولت طالبان على العاصمة كابول، انتقل أسامة بن لادن للعيش هناك وأصبحت طالبان القوة الأساسية في أفغانستان، وتوثقت علاقة أسامة بن لادن بها، وكان رجال طالبان يرون أن أسامة بن لادن له ماض مشرف في الجهاد ضد الغزو الروسي وكذلك أنه ساعد حركة طالبان في إنقاذ كابول مرتين من هجوم أحمد شاه مسعود بعد انكشاف أحد الجبهات، وأنه أقنع عددا من الشباب العربي المتخصصين بتقديم المساعدة لطالبان بشأن إعمار أفغانستان، وفي الوقت ذاته كان بن لادن يرى أن طالبان ذات مشروع لتطبيق الشريعة الإسلامية، وأنهم لم يصابوا بما أصيبت به الأحزاب الأخرى وزعاماتها من حب السيطرة المجردة والاستعداد لحرق البلد من أجل التنافس على الحكم وإهمال تطبيق الإسلام.

ولم تكن الحركة تمانع في نشاطه، أو مواقفه الداعية إلى إخراج القوات الأمريكية من الجزيرة العربية دون أن تشارك هي مباشرة في ذلك، وقد حدث «حادث الخبر» ضد التواجد الأمريكي – عام ١٩٩٦ م – ولكن أصابع الاتهام لم تشر إلى بن لادن مباشرة، إلا أن أسامة بن لادن أصدر بيانا من ١٢ صفحة وقعه باسمه الشخصي بعنوان « إعلان الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب » وبعد ذلك نسب إلى بن لادن وتنظيم القاعدة عمليتا نسف السفارتين الأمريكيتين في كل من كينيا وتنزانيا

عام ١٩٩٨م، ثم عملية تدمير المدمرة الأمريكية كول في مياه عدن عام ٢٠٠٠ م.

***

لا شك أن هناك محاولات ستستمر طويلا في تشويه صورة أسامة بن لادن، أو التقليل من شأنه، وذلك حتى لا يتحول إلى نموذج وبطل في نظر كل مناهضي أمريكا وكل المقهورين تجاه جبروته وحتى لا تحدث ثقة بالنفس في إمكانية إنزال الوجع والألم بالجبابرة والمغامرة بعدم السكوت عليهم، كل هذا مطلوب أمريكيًّا، بل مطلوب أحيانا لأسباب أخرى، ومحاولة تشويه صورة بن لادن أخذت أكثر من وسيلة ، منها اتهامه بالعمالة للمخابرات الأمريكية وأنها صنعته وخرج عليها، وهو اتهام وقع فيه صحفيون وكتاب كبار رددوا المسألة بدون وعي وكأنها مسلمة لا يرقى إليها الشك، والحقيقة أن ذلك محض افتراء وغباء، فالرجل لم يذهب إلى أفغانستان حبًّا في الأمريكان، بل كواجب إسلامي لمناهضة الغزو السوفيتي، وإذا توافق ذلك مع رغبة الأمريكان في ذلك الوقت على أساس الصراع بين أمريكا والاتحاد السوفيتي وحالة الاستقطاب الدولي فإن ذلك لا يعني الرجل في شيء، أكثر من هذا فإن الاستفادة من التناقضات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت ليس عيبا، بل فعله الجميع « دول عدم الانحياز ومنها مصر في عام ١٩٥٦ م وغيرها وحتى ١٩٧٠ م» ولا تعني الاستفادة من هذا التناقض العمالة لإحدى القوتين، على أنه لم يحدث أصلا أن تعاون أسامة بن لادن بالذات مع الأمريكان في أي شيء، وبديهي أن أسامة بن لادن الذي ينحدر من أسرة غنية واسعة النفوذ، والذي كان نصيبه في ثروة تلك الأسرة حوالي ٣٠٠ مليون دولار، فهو ليس في حاجة - شكلا أو مضمونا - للعمالة لأحد لا الأمريكان ولا غيرهم، ثم هو شارك بنفسه في القتال ، وهذه ليست صفات عملاء، وكل حياته

تؤكد أنه رجل صاحب مبدأ أو موقف ورجولة، سواء اتفقت معه أو اختلفت وهو ليس صاحب مصلحة شخصية من أي نوع.

على أي حال فإن الرجل قد نفى أي علاقة أو تعاون – مبرر أو غير مبرر – بالأمريكان، ونحن نصدقه، أما ترويج هذه الفرية على نطاق واسع ؛ فهو جزء من الحملة النفسية لسحب آثار جهاد بن لادن على الشعوب المقهورة، ويدخل في الإطار ذاته القول بأنه يتاجر بالمخدرات أو غيرها من الأقوال. وفي محاولة لتفسير سلوك بن لادن – بعيدا عن البطولة والرجولة – روج بعض المحللين النفسيين، أن أسامة شخص معقد بسبب زواج أبيه لأكثر من زوجة وأنه كان صبيا وحيدا بين ٥٣ من الأخوة، وهو كلام قد يصلح للحياة الاجتماعية في الغرب ولا يصلح بالطبع لتفسير الظروف الاجتماعية في البلاد العربية والإسلامية عموما، والمملكة العربية السعودية في ذلك الوقت خصوصا.

وفي الإطار ذاته تم ترويج كلام عن علاقات نسائية في شباب بن لادن في بيروت ومدريد، وهو كلام غير صحيح بالطبع، لأن نشأة بن لادن وأسرته وزواجه في سن ١٧ سنة لا تسمح بتصديق هذا الهراء.

لم تقتصر المحاولات على تشويه صورة أسامة بن لادن فقط بل اشتملت أيضا على محاولة التقليل من قيمته، فهو – في رأي البعض – ليس صاحب مشروع سياسي، وليس مثل جيفارا، والغريب أن هؤلاء ينسون أو يتناسون، أن الرجل يطالب برحيل القوات الأجنبية عن الجزيرة العربية، وبالتوقف عن ضرب وحصار العراق، والتوقف عن دعم إسرائيل ضد الفلسطينيين، ولولا هذا الكلام لما جرؤ أحد أن يطالب أمريكا بربط مناهضة الإرهاب بحل المشكلة الفلسطينية، وكذا فإن الجذر الثقافي والحضاري والديني للرجل يعني أنه صاحب مشروع، أليس في

الإسلام مشروع لحكم الدول والعالم وللعلاقات الدولية وغيره، وهل شرط أن يكون الزعيم الثائر هو ذاته المفكر!! ليس شرطا بالطبع، والمشروع الإسلامي معروف ومنشور على يد أكثر من مفكر في أكثر من مناسبة بل وهناك برامج حزبية تم نشرها وطبعت في كتب ونشرت في صحف.

ثم إن المقارنة وبين جيفارا وبينه ظلم للرجلين معا، فكلاهما ثائر على الظلم، الأول: كان جذره الثقافي ماركسيا والثاني جذره الثقافي إسلاميًا، ولو كان جيفارا حيًّا حتى اليوم لانحاز إلى الجذر الثقافي الإسلامي بعد أن انكشف عدم صلاحية الماركسية أو لاهوت التحرير المسيحي لمواجهة الرأسمالية لأنهما خرجا من نفس الأرضية الحضارية الحضارة الغربية – التي خرجت منها الرأسمالية ولا بد أن تفشل في مواجهتها، وشرط نجاح أي منظومة أو أيديولوجية في مواجهة الرأسمالية، أن يكون جذرها الثقافي مستمدا من حضارة ونموذج حضاري خارج الحضارة الغربية، وأن يكون خطاب هذه الحضارة عالميا وغير عنصري ومنحازًا للفقراء، وهذا بالضبط هو الخطاب الإسلامي.

وفي الإطار ذاته قال البعض : إن الرجل مصاب بالخلل لأنه يعادي أمريكا أكثر من عدائه لإسرائيل التي هي السبب في عدائه لأمريكا، وهكذ فإنه يترك الأصل ويهتم بالفرع، وهذا كلام أوله خطأ وآخره خطيئة، فالمشرع الصهيوني برمته مشروع غربي، وإذا كانت أمريكا هي وارثة المشروع الاستعماري الغربي، فإن إسرائيل بالتالي مشروع أمريكي حاليا، يعمل كوكيل عن الاستعمار الأمريكي، وكمفرزة أمريكية وغربية متقدمة، وكغدة سرطانية في جسد الأمة، وهي الذرع التي تستخدمها أمريكا في تحقيق أهداف الغرب الاستراتيجية والحضارية والتكتيكية، وبالتالي فإن أمريكا هي الأصل، ومحاربة الأصل أفضل طبعا، وإن كان ذلك لا يمنع من مواجهة الذراع والفرع معًا، فقط علينا أن ندرك أن الصراع الأصلي هو مع أمريكا

والغرب والرأسمالية.

***

أصبح بن لادن بطلا شعبيا أسطوريا، وسواء كان هو الذي فعل ما حدث في ١١ سبتمبر، أو لم يكن، وسواء كان وراء الحرب البيولوجية ضد أمريكا أو لم يكن، وبصرف النظر عن الرأي في تلك الأعمال – غير المبررة – فإن الغضب وتراكم الغيظ والاستفزاز لدى الشعوب من ممارسات أمريكا، صنعت من الرجل بطلا وأسطورة، وجعلته يصبح أهم شخصية في العالم، وسوف يكون محور تمجيد فني وعاطفي من كل الفقراء و لمستضعفين في العالم، ومحورا لهجوم المستكبرين وأفلامهم وأعمالهم الإعلامية المختلفة.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

النص الكامل لشريط الفيديو الذي حطم أعصاب أمريكا

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

■ بن لادن: إرهابنا محمود ولم نقتل بريئا

- الذين ناصروا المستضعفين في أفغانستان ضد السوفيت لا يمكن أن يقتلوا الأبرياء.
- أحداث ١١ سبتمبر رد فعل على الظلم المتواصل ضد أبنائنا في فلسطين والعراق والسودان والصومال.
- أمريكا تقوم على قوة اقتصادية لكنها هشة وما أسرع أن تهاوت.
- المعركة الدائرة الآن في أفغانستان أظهرت عجز الجيش الأمريكي!

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد، فبعد مرور ثلاثة أشهر على الضربات المباركة ضد الكفر العالمي ضد رأس الكفر «أمريكا» وبعد مرور شهرين تقريبا على الحملة الصليبية الشرسة على الإسلام، يطيب لنا أن نتحدث عن بعض دلالات هذه الأحداث.

فهذه الأحداث بينت أمورًا كثيرة في غاية الأهمية للمسلمين، فقد اتضح بجلاء أن الغرب عامة وعلى رأسه أمريكا يَحْمِلُ من الحقد الصليبي على الإسلام ما لا يوصف، والذين عاشوا هذه الأشهر تحت القصف المتواصل من الطائرات الأمريكية بأنواع مختلفة يعلمون ذلك حق العلم.

فكم من قرى أبيدت بدون ذنب، وكم وكم، لو حسبنا من الملايين الذين شردوا في هذا البرد القارس، هؤلاء المستضعفون من الرجال والنساء والولدان تؤويهم اليوم الخيام في باكستان لا ذنب لهم، مجرد شبهة، فشنت أمريكا هذه الحملة الشرسة.

ولو كان عند أمريكا من الأدلة ما يصل إلى درجة اليقين أن الذين قاموا بهذا

العمل كانوا ينتسبون إلى أوروبا، كالجيش الأيرلندي مثلا، لكن عندها من السبل الكثير لعلاج هذه المشكلة، ولكن لما كان الأمر مجرد شبهة تشير إلى العالم الإسلامي فظهر الوجه القبيح الحقيقي وظهر الحقد الصليبي على العالم الإسلامي بوضوح.

وبين يدي هذا الكلام أحب أن أؤكد على حقيقة الصراع بيننا وبين أمريكا، وهو في غاية الأهمية والخطورة ليس للمسلمين فقط بل للعالم أجمع، فما تتهم به أمريكا هذه الفئة المهاجرة المجاهدة في سبيل الله لا يقوم عليه دليل وإنما هو البغي والظلم والعداون.

فتاريخ المجاهدين العرب - بفضل الله سبحانه وتعالى - واضح، فقد خرج هؤلاء منذ ٢٠ سنة عندما ظهر الإرهاب المذموم الحقيقي على أيدي الاتحاد السوفيتي ضد هؤلاء الأطفال وضد الأبرياء في أفغانستان، ترك المجاهدون العرب أعمالهم وجامعاتهم وأهلهم وعشيرتهم ابتغاء مرضاة الله، نصرة لدين الله ثم نصرة للمستضعفين من أبناء المسلمين.

فالذين خرجوا لنصرة المستضعفين لا يعقل اليوم أن يذهبوا لقتل الأبرياء كما يزعم الزاعمون، فهذا التاريخ ، أمريكا كانت تؤيده، كل من يجاهد كل من يقاتل ضد الروس، فلما مَنَّ الله على المجاهدين العرب أن ينصروا المستضعفين في فلسطين أولئك الأطفال الأبرياء غضبت أمريكا وقلبت ظهر المجن لكل من قاتل في أفغانستان.

فإن ما يجري اليوم في فلسطين أمر في غاية الوضوح ومحل اتفاق البشرية منذ آدم عليه السلام، فإن الفطر قد تفسد ويختلف الناس في كثير من الأمور، ولكن هناك بعض الفطر يحفظها الله سبحانه وتعالى من الفساد إلا من شذت نفوسهم وبلغت مبلغا عاتيا في الظلم والعدوان، فمن الفطر المتفق عليها أن الناس - حتى وإن

أصابهم بعض الظلم وبعض العدوان - نفوسهم لا تستطيع أن تقتل الأطفال الأبرياء.

وما جرى في فلسطين وما يجري اليوم من قتل متعمد للأطفال ، هذا أمر في غاية القبح وفي غاية الظلم والعدوان وهو يهدد البشرية جمعاء.

وما عرف التاريخ أن أحدا يقتل الأطفال إلا نادرا وهو مذهب فرعون، والله سبحانه وتعالى مَنَّ على بني إسرائيل هؤلاء إذ نجاهم من فرعون : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾، فتذبيح الأطفال أمر اشتهر به رأس الظلم والكفر والعدوان فرعون، ولكن بني إسرائيل استخدموا نفس الأسلوب ضد أبنائنا في فلسطين، والعالم أجمع نظر وشاهد العساكر الإسرائيليين وهم يقتلون محمد الدرة وغير محمد الدرة كثير.

فالعالم بأسره في شرقه وغربه على اختلاف مللة مجرد كون الناس ناسا استنكروا هذا الفعل، ولكن أمريكا سادرة في غيها تؤيد هؤلاء الظلمة ، هؤلاء المعتدين على أبنائنا في فلسطين، والله سبحانه وتعالى بيّن أن النفس إذا بغت واعتدت ووصلت إلى حد أن تقتل نفسا بغير حق ، فهذا أمر في غاية البشاعة، ولكن أبشع منه أن يقتل الأطفال الأبرياء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾.

فهؤلاء في الحقيقة كأنما قتلوا جميع الأطفال في العالم، إسرائيل ومن ورائها أمريكا، وما الذي يرد إسرائيل عن قتل أبنائنا غدا في تبوك وفي الجوف وفي حولها من المناطق، وما سيفعل الحكام إذا وسعت إسرائيل من أرضها المطبوعة في كتبهم - الظالمة الجائرة الزائفة - كما يزعمون، وقال إن حدودنا إلى المدينة، ماذا سيفعل

الحكام وهم يرضخون لهذا اللوبي الصهيوني الأمريكي.

فلا بد للعقلاء أن يستيقظوا، وأن ما أصاب محمد الدرة وإخوانه سوف يصيب غدا أبناءهم ونساءهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالأمر في غاية الخطورة، والإرهاب المذموم تمارسه أمريكا على أبشع صوره في فلسطين وفي العراق، وبوش الأب هذا الرجل المشئوم كان سببا في قتل أكثر من مليون طفل في العراق فضلا عن غيرهم من الناس من الرجال والنساء.

أحداث ١١ سبتمبر ما هي إلا رد فعل للظلم المتواصل الذي يمارس على أبنائنا في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي غيرها كما في كشمير وأسام.

وأحداث ٢٢ جمادى الآخرة الموافق الحادي عشر من سبتمبر ما هي إلا رد فعل للظلم المتواصل الذي يمارس على أبنائنا في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي غيرها كما في كشمير وأسام، فالأمر يخص الأمة بأسرها فينبغي على الناس أن يستيقظوا من رقادهم وأن يهبوا لإيجاد حل لهذه الكارثة التي تهدد البشر جميعا.

وأما الذين أدانوا هذه العمليات فهؤلاء نظروا إلى الحدث بصفة مستقلة ولم يربطوه بالأحداث الماضية والأسباب التي أدت إليه، فنظرتهم قصرة ولا تنطبق ولا تنطلق لا من أصل شرعي ولا من أصل - أيضا - عقلاني، وإنما رأوا الناس ورأوا أن أمريكا والإعلام يذم هذه العمليات فقاموا يذمونها.

وهؤلاء مثلهم كمثل ذئب رأى حملا فقال لهذا الحمل – ولد لنعجة – أنت الذي عكرت عليَّ الماء في العام الأول، قال يا هذا لست أنا قال بل أنت، قال إنما أنا ولدت في هذا العام، قال إذن أمك التي عكرت عليَّ فأكل هذا الحمل، فما كان من هذه الأم

اسكينة التي رأت ابنها يمزق بين أنياب هذا الذئب إلا أن دفعتها عاطفة الأمومة فطحت هذا الذئب نطحة لا تقدم ولا تؤثر، فصاح الذئب وقال انظروا إلى هذه الإرهابية، فقام هؤلاء الببغاوات يرددون ما يقول الذئب ويقولون : نعم نحن ندين نطح النعجة لهذا الذئب، أين أنتم من أكل الذئب لابن هذه النعجة.

فإن هذه الضربات المباركة الموفقة إنما هي ردود فعل لما يجري على أرضنا في فلسطين وفي العراق وفي غيرها، وإن أمريكا في مواصلتها لهذه السياسة بمجيء هذا الابن جورج بوش الذي ابتدأ حكمه بغارات جوية عنيفة على العراق أيضا ليؤكد على سياسة الظلم والعدوان، وعلى أن دماء المسلمين لا ثمن لها.

فكان هذا الرد المبارك بفضل الله سبحانه وتعالى، وهذه الضربات المباركة لها دلالات عظيمة، فقد أوضحت بجلاء أن هذه القوة المتغطرسة المتكبرة (هبل العصر أمريكا) تقوم على قوة اقتصادية عظيمة، ولكنها هشة ما أسرع أن تهاوت بفضل الله سبحانه وتعالى.

فالذين قاموا بالعمل ليسوا تسع عشرة دولة عربية ولم تتحرك الجيوش ولا وزارات الدول العربية التي ألفت الخنوع والظلم الذي يصيبنا في فلسطين وفي غيرها، وإنما تسعة عشر من طلاب الثانويات – أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم – هزوا عرش أمريكا وضربوا الاقتصاد الأمريكي في صميم فؤاده وضربوا أكبر قوة عسكرية في عمق قلبها بفضل الله سبحانه وتعالى.

فهنا دلالة واضحة على أن هذا الاقتصاد العالمي الربوي المحوق الذي تستخدمه أمريكا مع قوتها العسكرية لفرض الكفر والإذلال على الشعوب المستضعفة يمكن بسهولة أن يتهاوى، فتلك الضربات المباركة قد ألحقت بأمريكا – باعترافهم هم في أسواق نيويورك وفي غيرها –أكثر من تريليون دولار خسارة

بفضل الله سبحانه وتعالى، وبإمكانيات بسيطة استخدموا طائرات العدو ودرسوا في مدارس العدو فلم يحتاجوا إلى معسكرات تدريب، وإنما فتح الله عليهم وأعطوا هذا الدرس القاسي لتلك الشعوب المتكبرة التي لا ترى للحرية معنى إلا أن تكون للجنس الأبيض، أما الشعوب الأخرى فيرون أنها ينبغي أن تكون ذليلة مستعبدة لا يحركون ساكنا بل يصفقون لرؤسائهم عندما يضربوننا كما حصل من قبل في العراق.

فأقول : إن القوة العسكرية الأمريكية وإن أظهرت أمريكا استعراضها لهذه القوة في أفغانستان في الفترة الأخيرة وصبت جام غضبها على هؤلاء المستضعفين، فقد أخذنا بفضل الله سبحانه وتعالى دروسا عظيمة ومهمة في كيفية مقاومة هذه القوة المتكبرة.

فعلى سبيل المثال، لو أن خط الجبهة مع العدو يبلغ في طوله ١٠٠ كم فينبغي أن يكون هذا الخط عريضا، بمعنى: لا نكتفي بخط دفاع بعمق أو بعرض ١٠٠م أو ٢٠٠ م أو ٣٠٠ م بل ينبغي أن يعرض هذا الخط إلى عدة كيلو مترات وتحفر الخنادق على طول الجبهة وعلى عرضها، فكثافة القصف الأمريكي تستنزف قبل أن تصل إلى نهاية تدمير هذه الخطوط وتكون هناك قوات خفيفة وسريعة للحركة من خط إلى خط ومن حركة دفاعية إلى حزمة دفاعية.

فاستفدنا هذا بعد القصف الكثيف الذي مارسه الأمريكان على خطوط الشمال وعلى خطوط كابل، وبهذه الطريقة تمر السنوات ولا تستطيع أمريكا بإذن الله سبحانه وتعالى أن تكسر خطوط المجاهدين.

ومن جهة أخرى - كما هو معلوم - إن القتال لا بد له من عنصرين، عنصر الأنفس المقاتلة، وعنصر المال مثل شراء السلاح، وهذا الأمر مؤكد في كتاب الله سبحانه

وتعالى، كما قال سبحانه وتعالى في آيات كثيرة يؤكد على هذا المعنى منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾.

فبالمال والنفس، فالقاعدة العسكرية الأمريكية وإن كانت المسافة بيننا وبينها بعيدة جدا وأسلحتنا لا تصل إلى طائراتهم فبالإمكان بواسطة الخطوط الدفاعية العريضة امتصاص هذه الضربات، وطريقة أخرى ضرب القاعدة الاقتصادية التي هي أساس للقاعدة العسكرية فإذا انتهى اقتصادهم شغلوا بأنفسهم عن استعباد الشعوب المستضعفة. فأقول من المهم جدا التركيز على ضرب الاقتصاد الأمريكي بكل وسيلة ممكنة، وهؤلاء الذين يدّعون الإنسانية ويدّعون الحرية رأينا هنا إجرامهم الحقيقي، فالإنسان تكفيه شظية وزيادة عليه وزنها سبعة جرامات، فأمريكا من حقدها على هؤلاء الطالبان ومن حقدها على المسلمين كانت ترمي على إخواننا في الخطوط قذائف تصل القذيفة الواحدة إلى ٧ أطنان، يا أهل الحساب يعني ٧ آلاف كيلو يعني تساوي ٧ ملايين جرام بينما يكفي الإنسان ٧ جرامات وزيادة عليه.

وعندما فجر الشباب – نرجو الله أن يتقبلهم شهداء – في نيروبي أقل من اثنين ظن قالت أمريكا هذا ضرب إرهابي، وهذا سلاح تدمير شامل ، وأما هي فتستخدم قذيفتين كل قذيفة ٧ ملايين جرام فهذا لا حرج فيه.

ويطلع علينا وزير الدفاع بعد أن قصفوا قرى بكاملها بدون سبب وإنما من أجل إرهاب الناس وجعل الناس يخافون من استضافة العرب أو الاقتراب منهم، طلع وزير الدفاع وقال : هذا من حقنا. من حقهم أن يبيدوا الشعوب طالما أنها مسلمة وطالما أنها غير أمريكية، هذا هو الإجرام بعينه، واضح بَيِّنٌ وكل ما تسمعون من قولهم : إنه خطأ هذا من الكذب الواضح البين.

فقبل أيام ضربوا كما زعموا مواقع القاعدة في خوست وأرسلوا قذيفة موجهة على مسجد قالوا وقعت بالخطأ، وبعد التحري اتضح أن العلماء في خوست كانوا يصلون صلاة التراويح وكان عندهم اجتماع بعد صلاة التراويح مع البطل المجاهد الشيخ جلال الدين حقاني الذي كان أحد أبرز قيادات الجهاد السابق ضد الاتحاد السوفيتي والذي رفض هذا الاحتلال الأمريكي على أرض أفغانستان، فقصفوا المسجد والمسلمين في الصلاة فقتل منهم مائة وخمسون ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسَلِمَ الشيخ جلال نرجو الله أن يبارك في عمره.

هذا هو الحقد الصليبي، فلينتبه الذين يرددون الكلام دون أن ينتبهوا إلى أعوانه ويقولون نحن ندين الإرهاب، نحن إرهابنا ضد أمريكا هو إرهاب محمود لدفع الظالم عن ظلمه لكي ترفع أمريكا دعمها عن إسرائيل التي تقتل أبناءنا، والأمر واضح بَيِّنٌ ألا تعقلون؟

أمريكا ورؤساء الغرب كثيرا ما يرددون أن حماس والجهاد في فلسطين وغيرها أيضا من المنظمات المقاتلة يسمونها منظمات إرهابية، إذا كان الدفاع عن النفس إرهابا فأي شيء هو المشروع، فدفاعنا لا يختلف وقتالنا لا يختلف عن قتال إخواننا في فلسطين كحماس، نقاتل من أجل لا إله إلا الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ولنرفع الظلم عن المستضعفين في فلسطين وفي غيرها.

الأمر واضح بين، وما ينبغي لمسلم عاقل أن يقف في ذلك الخندق تحت أي تأويل من التأويلات، فهذه أخطر وأعنف وأشرس حرب صليبية تشن ضد الإسلام، وبإذن الله نهاية أمريكا قريبة ونهايتها ليست متوقفة على وجود العبد الفقير، أسامة قتل أم بقي، فبفضل الله قد قامت الصحوة وكان من مكاسب هذه العمليات أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هؤلاء الشباب في الشهداء وأن

يجمعهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

فهؤلاء الشباب قاموا بعمل عظيم جدا، بعمل جليل جزاهم الله عنه خير الجزاء ونرجو الله أن يكونوا زخرا لآبائهم وأمهاتهم، فقد رفعوا رأس المسلمين عاليا وأعطوا أمريكا درسا لن تنساه بإذن الله سبحانه وتعالى.

وقد حذرت فيما مضى في لقاء مع قناة ABC أن أمريكا بدخولها في صراع مع أبناء الحرمين سوف تنسى أهوال فيتنام، وهذا الذي كان بفضل الله سبحانه وتعالى وما خفي كان أعظم بإذن سبحانه وتعالى.

فمن بلاد الحرمين خرج خمسة عشر شابا – نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء – من أرض الإيمان، هناك أعظم كنز للمسلمين حيث يأرز الإيمان كما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة كما تأرز الحية إلى جحرها، وأيضا خرج اثنان من شرق جزيرة العرب من الإمارات، وخرج آخر من الشام وزياد الجراح – نرجو الله أن يتقبله في الشهداء – وخرج الآخر من أرض الكنانة من مصر محمد عطا فنرجو الله أن يتقبل الجميع شهداء.

فهؤلاء في تصرفهم هذا أعطوا دلالات عظيمة جدا، وبينوا أن هذا الإيمان الذي في قلوبهم يستدعي مقتضيات كثيرة ويستدعي أن تقدم الروح من أجل لا إله إلا الله، فهؤلاء فتحوا بابا عظيما للخير والحق، ومن يقل إن العمليات الفدائية الاستشهادية لا تجوز إنما هؤلاء الذين نسمع أصواتهم في الإعلام، إنما يرددون شهوات الطغاة شهوات أمريكا وعملاء أمريكا.

أمة من ١٢٠٠ مليون مسلم تنحر من مشرق الأرض إلى مغربها في كل يوم في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي كشمير وفي الفلبين وفي البوسنة والشيشان وفي أيام لا نسمع لهم صوتا، فإذا ما قالت الضحية، إذا ما قام

المظلوم يقدم نفسه من أجل دينه ارتفعت أصوات هؤلاء ١٢٠٠ مليون مسلم ينحرون لا حس لهم فإذا قام رجل ليذود عن هؤلاء قام هؤلاء يرددون ما يشتهي الطغاة، لا عقل لهم ولا فقه لهم.

وفي حديث الغلام والملك والساحر والراهب دليل واضح على تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله، وهنا معنى آخر : أن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذي غلب على ذهن الناس وإنما النصر هو الثبات على المبادئ.

فأهل الأخدود ذكرهم الله سبحانه وتعالى وخلد ذكرهم في سياق المدح لهم إذ ثبتوا على الإيمان، هُدِّدُوا بَيْنَ الإيمان وبين أن يدخلوا النار ، فأبوا أن يكفروا بالله سبحانه وتعالى وأدخلوا النار – التي أضرمها لهم الكفار – وفي نهاية الحديث – حديث الغلام – عندما أمر الملك الظالم أن يقحم هؤلاء في الأخدود، وجاءت تلك الأم المستضعفة تحمل ابنها؛ فلما رأت النار خافت على ابنها وتقاعست؛ فقال لها (الغلام) كما قال عليه الصلاة والسلام، اصبري يا أماه فإنك على الحق.

فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الأحوال ماذا استفادوا؟ ضيعوا أنفسهم، هذا جاهل جهلا مركبا، هؤلاء فازوا برضوان الله سبحانه وتعالى وبجنات الخلد التي وعدهم الله سبحانه وتعالى، فليس النصر هو الكسب المادي فقط وإنما النصر الثبات على المبادئ.

وفي الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام هذا حديث الغلام، عندما أخذ الغلام الحجر وكان مازال قليل العلم وهو يتردد بين الساحر والراهب وقطعت الدابة الطريق على الناس – قال اليوم أعلم أيهما أفضل الراهب أم الساحر، كان من قلة علمه لم يفقه بعد أيهما أفضل وتطمئن نفسه.

فسأل الله أن يريه أيهما أفضل، فإن كان الراهب أحب إلى الله سبحانه وتعالى

فيقتل هذه الدابة، فأخذ حجرا ورمى الدابة فقتلها، فجاء الراهب إلى الغلام وقال، يـ بني إنك اليوم أفضل مني، هذه الكلمة رغم علم الراهب وجهل الغلام ولكن نـر الله سبحانه وتعالى قلب هذا الغلام بنور الإيمان وبدأ يضحي من أجل لا إله إلا الله.

هذه الكلمة العزيزة نادرة ينتظرها شباب الإسلام من علمائهم، أن يقولوا لهؤلاء الذين حملوا رؤوسهم على أكفهم من أجل لا إله إلا الله أن يقولوا لهم قولة ذلك العالم لذلك الغلام إنكم اليوم أفضل منا.

هذه هي الحقيقة في ميزان التفضيل في هذا الدين هو كما في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام، ميزان الإيمان ليس جمع العلم فقط بل جمع العلم والعمل به، فميزان الإيمان من جاهدهم بيده فهو مؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان، فهؤلاء جاهدوا الكفر الأكبر بأيديهم وأنفسهم نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.

هؤلاء كما قال عليه الصلاة والسلام سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل – رجل هنا نكرة – نَوَّرَ الله قلبه بالإيمان، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فزجره فقتله، كما في صحيح الجامع.

هذا فاز فوزا عظيما لم يدركه التابعون بل لم يدرك الصحابة الكرام ﷺ، وإنما رفعه الله سبحانه وتعالى إلى منزلة سيد الشهداء فهذا أمر حضَّ عليه رسولنا – عليه الصلاة والسلام – فكيف يمكن لمسلم عاقل أن يقول : ماذا استفاد هذا، هذا ضلال مبين ، نسأل الله العافية.

فهؤلاء الفتية فتح الله عليهم أن يقولوا لرأس الكفر ، لأمريكا ومن حالفها أنتم

على باطل، وأنتم على ضلال، وضحوا بأنفسهم من أجل لا إله إلا الله.

فالحديث يطول معنا عن هذه الأحداث العظام ولكنني أختصر كلامي وأركز على أهمية استمرار العمل الجهادي ضد أمريكا عسكريا واقتصاديا، وأن أمريكا قد تراجعت بفضل الله سبحانه وتعالى وأن النزيف الاقتصادي مستمر إلى اليوم، ولكن يحتاج إلى ضربات أخرى وأن يجتهد الشباب في البحث عن مفاصل الاقتصاد الأمريكي ويضرب العدو في مفاصله بإذنه سبحانه وتعالى.

وقبل الختام يطيب لي أن أذكر، أولئك الأبطال، أولئك الرجال، أولئك العمالقة العظام الذين رفعوا العار عن جبين أمتنا، يطيب لي أن أذكرهم ببعض الشعر مادحا إياهم وكل الذين يسيرون على درب محمد ﷺ.

وقبل ذلك أؤكد على نقطة، أن هذه المعارك التي تقوم اليوم في أفغانستان على مدار الساعة على المجاهدين العرب خاصة الطالبان، أظهرت بوضوح مدى عجز الحكومة الأمريكية ومدى الضعف الأمريكي ومدى هشاشة الجندي الأمريكي.

فرغم التطور الهائل في التكنولوجيا العسكرية لم يستطيعوا أن يحدثوا شيئا إلا باعتمادهم على المرتدين وعلى المنافقين فما الفرق اليوم بين بابراك كارمل الذي جاء بالروس لاحتلال بلاده وبين الرئيس المخلوع برهان الدين – والدين منه بريء – أي فرق بين الاثنين؟ هذا جاء بالروس لاحتلال أرض الإسلام وهذا جاء بالأمريكان لاحتلال أرض الإسلام، فهذا يدل كما ذكرت بوضوح على ضعف الجندي الأمريكي بفضل الله سبحانه وتعالى، فينبغي أن نغتنم الفرصة ويواصل الشباب الجهاد والعمل ضد الأمريكان.

وأختم بأبيات بذكر أولئك الأبطال الذين خرجوا من أرض الحجاز من أرض الإيمان من غامد وزهران ومن بني شهر ومن حرب ومن نجد نرجو الله أن يتقبل

الجميع، والذين خرجوا من مكة المكرمة سالم ونواف الحازمي وخالد المحضار أو الذين خرجوا من المدينة المنورة تركوا الدنيا ونعيمها من أجل لا إله إلا الله.

إني لأشـــهد أنهـــم مـــن كـــل بتَّـــارٍ أَحَـــدّ
يـا طالمـا خاضـوا الصعاب وطالمـا صـالوا وشـدوا
شـتان، شـتان بـين الـذين لـربهم بـاعوا النفوسـا
الباسـمين إلى الـردى والسـيف يـرمقهم عبوسـا
الناصـبين صـدورهم مـن دون دعـوتهم تروسـا
إن أطبقـت سـدف الظـلام وعضـنا نـاب أكـول
وديارنـا طفحـت دمـا ومضى بهـا البـاغي يصـول
ومـن الميـادين اختفـت لمـع الأسـنة والخيـول
وعلـت عـلى الأنـات أنغـام المعـازف والطبـول
هبـت عواصـفهم تـدك صروحـه ولـه تقـول
لـن نوقـف الغـارات حتـى عـن مرابعنـا تـزول
والســـلام علـــيكم ورحمـــة الله وبركاتـــه

***

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

التحالف العنصري

بين أمريكا وإسرائيل

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

يلخص الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة» – يلخص الموقف الأمريكي تجاه إسرائيل قائلا: «إنني أتذكر بوضوح اجتماعًا حدث في عام١٩٧٣ م مع المسئولين بخصوص حرب الشرق الأوسط، وكانت في بدايتها ولم تكن هذه البداية في صالح إسرائيل، وعندما سأل أحد أعضاء الكونجرس إذا كانت الولايات المتحدة ستتخذ أي إجراء في هذا الشأن؟ أجبته بلا مواربة »ليس هناك رئيس أمريكي يمكنه أن يسمح بتصفية إسرائيل«.. وأمرت عندئذ بعمل جسر جوي ليدفع عن إسرائيل الهزيمة.. وعلينا الآن أن نسأل أنفسنا سؤالا عن مدى أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا لدرجة أنه ليس هناك رئيس أمريكي يمكنه أن يسمح بتصفية إسرائيل، ولدرجة أن يقوم الرئيس الأمريكي نيكسون في ذلك الوقت عام ١٩٧٣ م بعمل جسر جوي لنقل السلاح من المخازن الاستراتيجية للجيش الأمريكي لحماية إسرائيل.

هل أهمية إسرائيل هنا جيوبوليتيكية مثلا، أم أن هناك تحالفًا بين أمريكا وإسرائيل لأسباب أخرى ليست سياسية أو عسكرية في جوهرها وليست بسبب أهمية أو عدم أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا، لنترك أيضًا الرئيس الأمريكي الأسبق يجيب عن السؤال، يقول نيكسون: «إن التزاماتنا تجاه إسرائيل عميقة جدًا، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهم ارتباطًا أخلاقيًا، إن إسرائيل ليست مكسبًا استراتيجيًا للولايات المتحدة، خلاف الرأي السائد في هذا الشأن، إن تعاوننا في أجهزة المخابرات والمناورات والمسائل الحربية مهم، ولكنه ليس حيويًا، لقد أثبتت الجيوش الإسرائيلية حقًا كفاءتها في الحروب إلا أن تأثير إسرائيل محدود في المنطقة، ولكن التزامنا تجاهها ينبع من ميراث قديم، فلن يستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير

إسرائيل».

وإسرائيل هذه التي لا تمثل أي مكسب استراتيجي للولايات المتحدة، لا يستطيع الرئيس أو الكونجرس التخلي عنها، وهي التي اعترفت بها أمريكا بعد دقائق من قيامها! وهي التي أسهم الغرب عموما وأمريكا خصوصا في قيامها واستمرارها وتوسعها، وإسرائيل تحصل على ما تريد من السلاح ومن المواقف السياسية والفيتو وغيرها من أمريكا بدون تحفظ، وقد حصلت إسرائيل من أمريكا منذ ١٩٧٤ م حتى ١٩٨٩ م على حوالي ٤٩ مليار دولار كمعونة، وحصلت على ١٦,٤ بليون دولار على هيئة قروض من عام ١٩٧٤ م إلى عام ١٩٨٩ م ثم تحولت هذه القروض بعد ذلك إلى منح لا ترد، ناهيك عن المعونات غير الحكومية، أو ضمانات القروض الحكومية أو التي تقوم بها البنوك الأمريكية لصالح إسرائيل.

وأمريكا التي لا تطيق أن ترى مصنعا للكيماويات في العالم العربي حتى ولو كان ينتج مبيدات للحشرات هي ذاتها التي تشجع وتساعد وتتجاهل قيام إسرائيل بصناعة القنابل النووية جميع أسلحة الدمار الشامل.

لماذا كل هذا الدعم والحماس لإسرائيل، مع أنها على حد تعبير نيكسون ليست مكسبا استراتيجيا لأمريكا؟!

إن ذلك يرجع لسبب بسيط جدا، وهو وجود تحالف عنصري بين اليهود والأمريكان والغرب موجه ضد المسلمين، أي تحالف صليبي يهودي ضد الإسلام، وذلك في إطار الصراع التاريخي بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية الصليبية، بل إن هناك تفسيرا صهيونيا للمسيحية ينتشر بصورة متزايدة يوما بعد يوم خاصة في أوساط البروتستانت، ويقول هذا التفسير: إن دعم إقامة إسرائيل وتحقيق إمبراطوريتها من النيل إلى الفرات هو واجب مسيحي؛ لأن هذا الوجود

والتوسع الإسرائيلي شرط لظهور المسيح في فلسطين وقيامه بقيادة الجيوش المسيحية في معركة ضد الكفار « المسلمين » وهي المعركة المذكورة في الإنجيل « المحرف طبعا » تحت اسم معركة «هرمجدون»..

أما على مستوى المسيحيين الكاثوليك، فإن الموالاة والتحالف مع اليهود يشق طريقه الآن على قدم وساق، فبابا الفاتيكان مثلا - وعلى خلاف كل التراث الكاثوليكي - أعلن تبرئة اليهود من دم المسيح!

وبابا الفاتيكان نفسه يعلن الآن أنه لا يمانع في الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل بشرط حرية زيارة الأماكن المقدسة، وحتى أسبانيا التي طردت اليهود مع المسلمين منذ ٥٠٠ عام اعتذرت رسميا عن ذلك لليهود، وطبعا لم تعتذر للمسلمين!!

على أية حال فإن التحالف المسيحي اليهودي أمر جديد ولم يحدث إلا في القرون الأخيرة، لأن التاريخ بين اليهود والمسيحيين تاريخ مفعم بالصدام، ولقد تعرض اليهود للعديد من المذابح والاضطهادات الدينية المسيحية في كل الدول المسيحية الأوروبية بدون استثناء، على أن هذا التحالف الجديد كان قد تنبأ به القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وهذا نوع من الإعجاز القرآني:

يقول الله تعالى في كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

ونظرا لأنه كان هناك عداء مستمر واضطهاد من المسيحيين لليهود على طول التاريخ فإن المفسرين القدماء كانوا يفسرون هذه الآية في إطار أن الكفر ملة واحدة،

(١) سورة المائدة: الآية (٥١).

أي تفسير إجمالي دون أن يجدوا أو يذكروا تفاصيل محددة لهذه الموالاة، أما الآن فقد تحققت هذه النبوءة القرآنية خاصة بعد دعم قيام إسرائيل من الغرب المسيحي واستمرار هذه الموالاة والدعم بين الطرفين في أكثر من مجال، وبذلك تحققت النبوءة القرآنية بصورة محددة تفصيلية، وهذا من إعجاز القرآن الكريم..

أما موقفنا الآن كمسلمين من هذه الموالاة بين اليهود والنصارى فيحددها الله تعالى لنا من خلال القرآن الكريم أيضا في هذه الآية وما بعدها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ ﴾ (١).. و ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٢).. و ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (٣).

أي هؤلاء الذين يقولون الآن : نحن لا نستطيع مواجهة أمريكا ولا إسرائيل ونخشى أن يدمرونا بأسلحتهم!.

■ ■ ■

(١) سورة المائدة : الآية (٥١)

(٢)سورة المائدة : الآية (٥١)

(٣) سورة المائدة: الآية (٥٢)

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

مستقبل الصراع

بعد عملية الاجتياح

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

على وهج النار الذي اندلع في مدن ومخيمات الضفة الغربية بدءا من يوم ٢٩ مارس ٢٠٠٢ م الماضي وفوق أكوام الحطام الذي تناثر أو تراكم بسبب قصف الطائرات الأباتشي أو الـ F ١٦ للبيوت الآمنة والمساجد والكنائس أو المتخلفة من قبل الجرافات التي جرفت الكثير من الأكاذيب مع ما جرفته من أبنية على أصوات حنازير الدبابات الميركافا وطلقات المدافع والدبابات والانفجارات وعلى رائحة الجثث التي لم تسمح إسرائيل بدفنها وأنين الجرحى الذين منعت عنهم القوات الإسرائيلية العلاج أو الإسعاف.. على أضواء الشموع التي أنارت الغرف المظلمة بعد أن تم قطع الكهرباء والمياه عن المحاصرين من رجال السلطة أو جنود الأمن الوقائي أو الأسر العادية في رام الله وقلقيلية وجنين ونابلس وطولكرم وبيت لحم.. على الأحلام والآمال التي انعقدت على إرادة المجاهدين والصامدين في المخيمات والذين ضربوا نموذجا فذا في جنين ونابلس..

على وهج النار وفوق الخراب والدمار ورائحة الموت وعلى داء الأمل في الغد احترقت أكاذيب وظهرت حقائق ورغم كل الألم والمعاناة والآثار السلبية المباشرة على الفلسطينيين من هذا الاجتياح المجرم ، فإن المحصلة الاستراتيجية كانت لصالحنا إن شاء الله وهذا يتوقف بالطبع على التمسك بتفاؤل التاريخ والمستقبل رغم يأس المرحلة، التمسك بداء الأمل رغم اليأس، التمسك بخيار المقاومة رغم غراء المفاوضات!

احتراق الأكاذيب وظهور الحقائق جلية كاشفة مكشوفة واضحة لا لبس فيها كالمحجة البيضاء ليلها كنهارها كان أحد المكاسب الاستراتيجية، ذلك أن احتراق الأكاذيب ومعرفة الحقائق هو أول الطريق إلى النصر ، فالأمة التي تعرف حقائق ما يدور لها وحولها تعرف الطريق الصحيح لمواجهة التحدي، وبدون هذه المعرفة

اللازمة بالضرورة لا تستطيع تحديد الأهداف أو الوسائل. عمى وهج النار وعلى أصوات المدافع وأزيز الطائرات والمدافع اكتشفنا إننا نواجه عدوانا أمريكيا يقوم به الجيش الإسرائيلي لحساب الولايات المتحدة الأمريكية ، فالعملية قد تم الاتفاق عليها شكلا ومضمونا بين الإدارة الأمريكية وحكومة السفاح شارون.. إنها المرحلة الثانية فيما تسميه أمريكا الحرب ضد الإرهاب والتي أعلنتها على العالم عموما والعالم الإسلامي خصوصا منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م ، ولم تتوقف ولن تتوقف إلى وقت بعيد وهكذا فإن تصريحات الرئيس الأمريكي وكذا كل مسئولي حكومته المتكررة والمتنوعة تدور في حق إسرائيل في القضاء على الإرهاب وتحقيق أمنها بذبح كل من يحمل بذرة المقاومة، وأن على الرئيس عرفات أن يقوم بمزيد من الجهد للقضاء على جماعات الإرهاب وإلا فإنه متهم على حد تعبير الرئيس الأمريكي أو داعم للإرهاب وعدو إسرائيل والعالم الحر كله على حد تعبير شارون وبالتالي يستحق الحصار أو الإبعاد أو حتى القتل إذا كانت الظروف مواتية واقتضت الحاجة ذلك.. وفي الحقيقة فإن كل التحركات الأمريكية تؤكد هذا المعنى قبل الاجتياح وبعد الاجتياح على حد سواء فتفاهمات تينيت وتقرير ميتشيل وجولات زيني وتشيني ثم كولين باول بل وقرارات مجلس الأمن رقم ١٣٩٧ في ١٢ / ٣ / ٢٠٠٢ م والقرار ١٤٠٢ في ٣٠ / ٣ / ٢٠٠٢ م وكذا القرارات التي منعتها أمريكا باستخدام الفيتو والطلبات المعلنة من أمريكا للعرب كلها تدور حول انسحاب إسرائيلي غير محدد المعالم ... دولة فلسطينية على مساحة غير محددة حسب المزاج الإسرائيلي – الأمريكي طبعا – ولكن بصورة محددة وقاطعة العمل على تحقيق الأمن الإسرائيلي، القضاء على جماعات المقاومة «الإرهاب» ضرب البنية التحتية التي تسمح بظهور تلك المقاومة – إعلان العرب والفلسطينيين إدانة

العمليات الاستشهادية التي هي سلاحنا الرئيسي حتى الآن.. وهكذا فالمسألة أمريكية أصلا وإسرائيلية فرعا، وهذه الحقيقة أحرقت أكاذيب الاعتماد على الوساطة الأمريكية أو الأوروبية أو مناشدة الضمير الغربي والأمريكي أو سعي حكومات الصديقة لأمريكا لدى بوش ليفعل شيئا! أو ممارسة الضغط على الرئيس عرفات من قبل الحكومات العربية لقبول المهمة القذرة « أي تصفية رجال المقاومة وبنيتها التحتية» وحتى عندما اضطرت أمريكا لأن تطلب من إسرائيل الانسحاب بدون تأخير أو فورا فإنها كانت تمارس نوعا من الخداع البسيط المفضوح؛ فإسرائيل تعرف أن الطلب الأمريكي غير جاد وأنه يمكن الالتفاف عليه أمام العالم بالخروج من بعض المدن التي انتهت مهمة الجيش الإسرائيلي فيها مثل قلقيلية وطولكرم أو بديهي أن القوت الإسرائيلية لن تبقى في المدن والمخيمات إلى الأبد لأنها تعرف أن ذلك مستحيل عسكريًا وأمنيًا ويكلفها خسائر لا طاقة لها بها.

اكتشفنا على وهج النار أن أمريكا هي العدو والذراع ، وإسرائيل هي القفاز وهي حقيقة قديمة معروفة ولكن البعض كان لا يزال يجادل فيها ولم يعد الآن قادرا على الجدال إذا امتلك الحد الأدنى من المنطق أو العقل.. فإسرائيل مفرزة غربية ثم أمريكية متقدمة، أو حاملة طائرات أمريكية ضخمة، أو جماعة وظيفية تقوم بمهمتها لصالح الاستعمار الأوروبي ثم الأمريكي! واكتشفنا أن المعركة في فلسطين هي معركة العالم الحر بالمعنى الصحيح لكلمة الحرية، عالم المستضعفين ضد الاستكبار، فإذا تم القضاء على المقاومة واستكان الشعب الفلسطيني كان معنى ذلك نجاح المرحلة الثانية من الخطة الأمريكية في الهيمنة على العالم، وعلينا انتظار المرحلة الثالثة في العراق أو في إيران أو سوريا أو حتى مصر وإن فشل الجيش الصهيوني في تحقيق أهدافه ، فإن ذلك يعني سقوط جزء من جدار الاستكبار، لأن استمرار المقاومة

والاستشهاد ضد الإسرائيليين يعني إمكانية تفكيك تلك الغدة السرطانية الاستعمارية المسماة إسرائيل وإثبات عدم جدوى الصهيونية بالنسبة لليهود فيتراجع التأييد لها بينهم ويعطي الشعوب الأمل في إمكانية هزيمة الاستكبار الدولي.. وهكذا فإن الشعب الفلسطيني يخوض المعركة دفاعا عن العرب كل العرب والمسلمين كل المسلمين والمستضعفين كل المستضعفين وهذا يفسر في جانب منه تلك الغضبات الجماهيرية في العالمين العربي والإسلامي بل في العالم كله، بل إن القوى المناهضة للعولمة أو أصحاب الضمير في أوروبا وأمريكا أنفسهم تظاهروا ضد الاجتياح لأنهم فهموا طبيعة المعركة.

ولعل هذا يفتح أمامنا تفسير وفهم حقيقة موضوع التأييد الحكومي الأوروبي أو السكوت أو الموقف الباهت «ماعدا بعض مقاطعات بلجيكا»، كذلك الموقف الحكومي العربي المتردد مع وجود هبات شعبية هنا وهناك.. فالمعركة لها طرفان طرف يمثل الرأسماليين والعسكر وخدمهم من الإعلام والفن والفكر، وطرف المستضعفين ومن يعبر عنهم في كل مكان. وإذا كنا نحكم على الظواهر في مجراها الرئيسي فإن التحالف الرأسمالي العسكري الأمريكي الأوروبي مع بعض ممثلي ووكلاء هؤلاء في كل أنحاء العالم هم الذين يسيطرون على القرار السياسي في بلدان كثيرة من العالم خاصة الدول الكبرى، وهكذا نفهم كون مجلس الأمن مجرد مغارة لصوص ليس إلا، ونفهم لماذا لا تتخذ الدول الأوروبية موقفا حازما ضد إسرائيل وتفهم تردد الحكومات العربية، ونفهم لماذا لم يتم استخدام سلاح البترول ولو بشكل رمزي اللهم إلا موقف العراق الذي أوقف النفط لمدة شهر وأيده في ذلك إيران وليبيا! والعجيب أن إحدى الدول العربية البترولية الكبرى قالت معتذرة أنها لن تقطع البترول لحاجتها للأموال لكي تساعد الفلسطينيين.

على ضوء سيطرة الرأسمالية والعسكر وحلفائهم من المفكرين والإعلاميين يمكننا أن نفهم لماذا يقف الإعلام الأوروبي والأمريكي « C.N.N - صحيفة نيويورك تايمز نموذجان» هذا الموقف المتجاهل للدم الفلسطيني والمتعاطف مع الدم الصهيوني المراق في العمليات الاستشهادية! إن الذين خرجوا في مظاهرات أو احتجوا على الممارسات الصهيونية من الأوروبيين والأمريكان كانوا من حركات مناهضة العولمة أو الخضر أو جماعات السلام الرافضة أصلا للهيمنة الأمريكية على العالم.

ومن الحقائق التي ظهرت على وهج النار أيضا زيف مقولة الديمقراطية الإسرائيلية أو الديمقراطية الغربية عموما.. وإذا كانت إقامة إسرائيل في حد ذاتها هي ضد فكرة الديمقراطية وتثبت زيف الديمقراطية الغربية التي دعمت قيام إسرائيل ، وكذا ممارسات ٥٤ سنة منذ ١٩٤٨ م وقبلها عشرات السنوات فإن ما حدث أمام وسمع العالم وعلى شاشات الفضائيات في كل أنحاء العالم من قتل ومذابح وتدمير بيوت وحصار وتجويع ورفض دفن الموتى أو إنقاذ الجرحى والاعتداء على الصحفيين والمصورين والاعتداء على حرمة دور العبادة «المساجد والكنائس» وغيرها يثبت زيف مقولة الديمقراطية الإسرائيلية بل وزيف الديمقراطية الغربية والأمريكية المزعومة ، فهي ديمقراطية عنصرية لا تنسحب على العرب والمسلمين، وعلى الذين يتحدثون عن القيم الأوروبية أو القيم الأمريكية أن يكفوا عن ذلك احتراما لعقولنا!

ومن الأكاذيب التي احترقت على وهج النار إمكانية قيام سلام مع الكيان الصهيوني، فالحكومة التي اتخذت قرار الاجتياح هي حكومة وحدة وطنية إسرائيلية تضم الليكود والعمل ، وبالتالي فإن بيريز الذي حصل على جائزة نوبل للسلام

والتي أعرب مانحوها عن رغبتهم في استردادها وندمهم على منحها له وكذا بن اليعازر وموفاز هم أهم أركان تلك الحكومة « الخارجية، والدفاع، ورئاسة الأركان » وبالتالي فإن حزب العمل شارك في المذبحة وكل قطاعات المجتمع الصهيوني أيدت العملية، واستطلاعات الرأي تؤكد ذلك ومنتقدو شارون ينتقدونه من منظور يميني وقلت شعبيته في اتجاه صعود اليمين وليس لأنه سفاح مثلا بل لأنه لم ينجح في ذبح المقاومة بما يكفي! ودعاة السلام الإسرائيليون رغم هامشيتهم الشديدة ورغم أنهم مؤمنون بالصهيونية ويرون مصلحتها في السلام لا يظهرون عادة طالما كان الجيش الإسرائيلي متفوقا أو يمارس مهامه العدوانية، أما إذا ظهر تفوق عربي أو انتظار للمقاومة فإنهم يظهرون في محاولة لتهدئة الأحوال! والحديث عن دولة فلسطينية أصبح عديم الجدوى بعد تفكيك البنية التحتية والمرافق على يد الجيش الإسرائيلي والمتاح أمريكيا وإسرائيليا هو مجرد كانتونات أو معازل بلا قيادة ولا قوات شرطة قوية وطبعا بلا جيش أو مؤسسات، بل الاجتياح الإسرائيلي الأخير أثبت عبث فكرة الدولة الفلسطينية ؛ لأنها دولة ستكون عرضة للاجتياح وقتل الناس وتدمير المرافق والأجهزة كلما أراد حكام إسرائيل ذلك فلا اتفاقات أوسلو منعت اجتياح ٢٩/ ٣ ولا حتى اعتقال مدبري حادث اغتيال زئيفي شيفي!

ومن الحقائق أن بإمكان قوة صغيرة تلوذ بالإرادة والإيمان وبسلاح بسيط أن تصمد بما يكفي وأن تحدث خسائر بالعدو، وهذه هي تجربة جنين ونابلس وحتى لو انكسرت المقاومة مؤقتا فإن ذلك لا يعني انكسارها ؛ لأن الجيش الإسرائيلي مثلا نجح في اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ م ووصل قلب بيروت وأخرج المقاومة الفلسطينية منها وأقام حكومة يمينية عميلة في بيروت ودبر مذبحة صابرا وشاتيلا فأحدث خرابا شاملا ولكن من هذا الخراب ومن خلال الأنقاض أبدع اللبنانيون

مقاومة ظلت تتصاعد حتى انتصرت في النهاية ودمرت الجيش الإسرائيلي عام ٢٠٠٠ أي بعد ١٨ سنة من اجتياح لبنان على يد شارون ذاته ، وهذا الأمر مرشح بالطبع للتكرار.. فمن خلال الخرائب ومن خلال المعاناة وذكريات الحصار والجوع والعطش والموت ستخرج وتتصاعد مقاومة أشد عنفا وقوة في نابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية وبيت لحم ورام الله والخليل وغزة وسيكتشف الشعب العربي كيف يلتحم أكثر بالمقاومة ويدعمها الدعم الصحيح والمطلوب.. وسوف يتم دحر العدوان الصهيوني في النهاية اليوم أو غدا أو بعد غد لأنه شعب رفع شعار المقاومة ويردد مع شعرائه؛ توفيق زياد:

بأسناني بأسناني سأحمي كل شبر من ثرى وطني
ولن أرضى بديلا عنه لو علقت من شريان شرياني
هنا على صدور كم باقون كالجدار
وفي حلوقكم كقطعة الزجاج كالصبّار
وفي عيونكم زوبعة من نار

ومع سميح القاسم:

لن أساوم إلى آخر نبض في عروقي سأقاوم

ومع محمود درويش:

سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل
سنطردهم من هواء الخليل

وإذا كان البعض يخشى من الدم المراق بسبب المقاومة ، فإن الدم الذي يراق بسبب المساومة أو الاتفاق يكون عادة أكثر ، ولدينا تجربة صابرا وشاتيلا خير

نموذج بل كل المذابح جاءت عقب استسلام أو اتفاق!.. وفي كل الأحوال فإن قدر أمتنا أن تدفع الدم فهي على موعد مع رحلة الدم الذي سيهزم السيف كما يقول الشهيد الفذ فتحي الشقاقي: فأمتنا على موعد مع الدم، دم يلون الأرض، دم يلون التاريخ، دم يلون الأفق، دم يلون الدم.

والحديث عن المقاومة وعن خيار الاستشهاد كخيار استراتيجي يجب أن ندرك هنا أن حالة العجز العربي الحكومي وعدم قدرة الشعوب حتى الآن على الضغط على الحكومات لفعل شيء جدي لن يكون عائقا أمام مسيرة المقاومة وخيار الاستشهاد ؛ لأن حزب الله انتصر في ظروف مشابهة وربما أصعب، وآلة الحرب الإسرائيلية لن تقوى على الاستمرار في المدن والمخيمات، فهذا على المدى الطويل سيجعلها هدفا قريبا، أما العمليات الاستشهادية إذا خرجت فإن المقاومة ستعيد بناء نفسها خاصة في ظل احتراق الأكاذيب وصعود الحقائق، وفي ظل غياب أجهزة السلطة قد يكون ضارا في جانب منه، ولكنه مفيد في جانب آخر وفي ظل حالة غضب عارم بسبب ما حدث وثأر وطلب انتقام مشروع.. وفي كل الأحوال فإن العجز العربي لن يضر المقاومة كثيرا خاصة إذا لم يمارس دوره في تطويقها وهو غير قادر على ذلك حاليا لأنه لم يقدم ما يسمح بالقيام بهذا الدور، ووحده الرئيس ياسر عرفات الذي يستطيع ذلك ونرجو ألا يفعل وأن يظل رمزا لكل الشعب الفلسطيني خاصة أنه مهما فعل فلن تغفر له إسرائيل عمليات الجناح العسكري لفتح ولن تغفر له أمريكا أيضا ، وبالتالي فالخيار أمامه هو الاستمرار في الخندق : خندق الصمود والمواجهة، والحقيقة ، أن المقاومة ستنجح إذا ظلت بمعزل عن الحكومات العربية فهذه الحكومات - ولأسباب كثيرة - مارست ولا تزال دورا كبيرا في تهدئة المقاومة وتطويقها حدث ذلك إبان ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ حيث

ناشد الزعماء العرب الأهالي الهدوء وانتظار جهود الصديقة بريطانيا وعندما اجتاحت آلة الحرب العسكرية الإسرائيلية لبنان عام ١٩٨٢ م كانت الجهود الحكومية العربية وراء نجاح مهمة المبعوث الأمريكي فيليب حبيب الذي حقق اتفاقا يقضي بخروج المقاومة من بيروت إلى تونس ، وبالتالي أنقذ الجيش الإسرائيلي مؤقتا من الغرق في المستنقع اللبناني، وكذلك فإن تلك الحكومات حينما تدخلت بسبعة جيوش لسبع دول في ١٩٤٨ م تسببت في إقامة إسرائيل وخسران المعركة وبدء النكبة.

وفي عام ١٩٦٧ م تدخلت ثلاث دول ، فكانت النتيجة ضياع الضفة وغزة وسيناء والجولان، نحن هنا لا نقول ولا نطالب بعدم تدخل الدول العربية بل أن يكون تدخلها لدعم خيار المقاومة وتأجيجها وليس لإخضاعها للسلام كخيار استراتيجي مزعوم خاصة أن تلك المقاومة حين تكون قادرة على إنزال الهزائم بالكيان الصهيوني فإنها تذود عن الأمن القوي العربي خاصة لدول المواجهة، لأن فرغ إسرائيل من المقاومة سيطلق يدها للاعتداء على تلك الدول ؛ لأن لها أهدافا إقليمية معروفة تشكل خطرا ساحقا على مصالح وربما وجود تلك الدول ذاتها وتلى كل الدول العربية سواء كانت من دول الطرق أو من غيرها.

فعل المقاومة الجميل والنبيل ، وبركة الجهاد والاستشهاد أحدثت في الشارع العربي صحوة كان يفتقدها.. وصحيح أن تلك الجماهير التي خرجت بالملايين في المغرب والسودان واليمن وبمئات الألوف في مصر وليبيا ولبنان والأردن وسوريا والعراق بل في البحرين والكويت والسعودية كانت تدافع عن كرامتها ودينها وعروبتها التي مرغت إسرائيل بها الوحل حين ردت على مبادرة السلام العربية أو مبدرة الأمير فهد والتي تبنتها قمة بيروت العربية وقبل أن يجف مداد المبادرة وبعد

أقل من أربع وعشرين ساعة اجتاحت الدبابات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية وحاصرت الرئيس عرفات وصفعت الحكومات العربية صفعا أليما، وصحيح أن تلك الصحوة هي أمر طبيعي لأن الموضوع الفلسطيني يمس وترا حساسا في الضمير العربي والإسلامي ، ولكن مجرد خروج المارد الشعبي من القمقم هو أمر عظيم يحسب للمقاومة الفلسطينية ؛ لأن هذا المارد الذي خرج سيكون لخروجه آثار إيجابية على كل مستوى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وإقليميا ودوليا وليس على مستوى دعم الانتفاضة والمقاومة أو التضامن مع الشعب الفلسطيني، وهكذا فإن المقاومة هي التي قدمت الدعم لنا جميعا على كل مستوى.. حافظت على كرامتنا وردت الإهانة عن الحكام العرب – « وليتهم يعترفون بالجميل » - وعطلت عجلة العدوان الأمريكي، وأيقظت الشعوب من رقاد طويل.

■ ■ ■

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

الإرهاب الإسلامي وأكاذيب الديمقراطية

عصر المغالطات الأمريكية الكبرى

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

في مجلة « النيوزويك » الأمريكية – الطبعة العربية – عدد ٢٥ ديسمبر ٢٠٠١م، ثلاث مقالات طويلة تتحدث عن الرؤية الأمريكية للعالم ولمنطقتنا بالتحديد ولنظرة إلى العالم العربي والإسلامي، والمقالات الثلاث تصلح نموذجا لما يمكن أن نسميه عصر المغالطات الأمريكية الكبرى ، ومن المهم بالطبع أن نرصد مثل هذه المقالات التي تكشف طريقة التفكير الأمريكية التي تشتبك وسوف تشتبك معنا بالضرورة، لأننا أولا موضوع هذه المقالات، ولأنها ثانيا بقلم ثلاثة من أهم الكتاب الأمريكيين، الذين يرسمون أو يكشفون بالأحرى عن المخطط الأمريكي والاستراتيجية الأمريكية للعالم في عصر العولمة خاصة بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

المقالة الأولى بعنوان « العالم المعاصر هدفهم » بقلم فرانسو فوكوياما، والثانية بعنوان « عصر حروب المسلمين » بقلم صمويل هانتجتون، والثالثة بعنوان « كيف يمكن إنقاذ الوطن العربي» بقلم فريد زكريا.

لأسماء كُتَّاب المقالات أهميتها، وكذا عناوين المقالات الثلاث فالاسم الأول «فرانسو فوكوياما» هو المفكر الأمريكي الذي دشن انتصار الرأسمالية على الشيوعية فى جانبه الفكري، ونظرًا لما يسمى بنهاية التاريخ قاصدا أن انهيار الشيوعية وانتصار الرأسمالية يعني أن الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية هي الحل والطريق الصحيح الوحيد أمام البشرية ، وعلى كل البشر أن يؤمنوا بهذا الدين – دين حرية التجارة والسوق والخصخصة والعولمة، وأن يعلنوا اعتناقهم له، وإلا فإن القطار سوف يفوتهم أو يدهمهم ويخرجون من التاريخ، فرانسو فوكوياما بالطبع لم يكن يحلل الظاهرة، ولم يصل إلى هذه النتيجة من خلال التحليل العلمي الرصين، ولا النظر في الصيرورة التاريخية ولا استخدام منهج علمي جديد أو قديم ليصل إلى هذه النتيجة من مقدمات حقيقية وموضوعية، ولكنه كان مجرد بوق لآلة الإعلام الغربية –

التابعة للقوى الحاكمة في أمريكا والغرب « تحالف العسكريين والرأسماليين » الذين خططوا للهيمنة على العالم، وإعادة صياغته بطريقة تسمح بنهبه وقمعه بطريقة سلسة وسهلة وبدون خسائر أو مجهود كبيرين.

وبديهي أن الرجل استخدام أسلوب القفز على الحقائق الموضوعية، وصاغ عددا من المغالطات الكبرى ليصل إلى هذه النتيجة، فانهيار الشيوعية لا يعني بالضرورة صلاحية الرأسمالية، بل قد يعني في جانب منه عدم صلاحية الرأسمالية ذاته لأنها مثل زميلتها خرجت من الأرضية الحضارية الفاسدة ذاتها – الحضارة الغربية – التي أفرزت أيضا النازية والفاشية والصهيونية، وهي حضارة القهر والعنف والنهب والاستعمار والاسترقاق وإبادة الشعوب، وقد عانى العالم ولا يزال معاناة شديدة من صعود تلك الحضارة منذ عدة قرون.

والاسم الثاني هو صمويل هانتنجتون الذي هو بدوره ، أيضا ، أحد أبواق القوى المسيطرة « تحالف الرأسمالية والعسكريين » ولا بد أن يكمل الرجل ما بدأه فوكوياما، فإذا كان فوكوياما يعتبر أن على الناس أن يدخلوا في دين الرأسمالية طوعا أو كرها، وليس أمامهم بديل، فإن هانتنجتون حدد القوى والأفكار التي يمكنها أن تقف عقبة أمام هذا الزحف العولمي والرأسمالي واعتبر الحضارة الإسلامية أخطر هذه العقبات، لأنها أولا حضارة تعبر عن قطاع كبير من البشر، وتؤثر على قطاع آخر من غير المسلمين، ويمكن أن تكون بديلا صالحا للرأسمالية والشيوعية معا، فحلم الإنسان في العدل لن يموت وسوف يبحث الإنسان عن نظرية تحقق له هذا، ولا بد لهذه النظرية أن تكون ذات خطاب عالمي غير عنصري وأن تكون في نصها النظري والتطبيقي منحازة إلى المستضعفين والفقراء، وهكذا فإن الإسلام كدين وكأيديولوجية للفقراء يمكن أن يكون هو هذا البديل، وهكذا فلا بد من إعادة

بعث فكرة قديمة هي فكرة صدام الحضارات، وبديهي أن الحضارات تتصادم وتتحاور حسب الظروف طبعا، ولكن اختيار صدام الحضارات عنوانا لعصر العولمة كان يعني بالضبط ضرورة القضاء بالقوة على كل المراكز الثقافية والحضارية والبشرية التي يمكن أن تعارض زحف العولمة وتوحش الرأسمالي، إنها فكرة عسكرة العولمة، وبالطبع فإن السيد فوكوياما بعد أن حدد المراكز الحضارية المختلفة في العالم اختار الحضارة الإسلامية لتكون هي العدو الجديد للغرب الذي ينبغي تحطيمه عسكريا ومنعها من إقامة تحالف مع الحضارة الكونفوشيسية «الصين» لمواجهة عصر العولمة والأمركة والهيمنة وهذا هو ما حدث بالضبط في آسيا الوسطى والحملة على أفغانستان مثلا التي استهدفت أساسا منع التحالف الإسلامي الصيني والتواجد في مركز الثقل السكاني الإسلامي في العالم ، بالإضافة إلى الوجود في الخليج والضرب المستمر للعراق وممارسات إسرائيل ضد الدول العربية ، وكلها تصب في خانة واحدة، خانة محاولة تحطيم القوى الحضارية الإسلامية عسكريا وبالقوة وبلا هوادة، وبديهي أن صمويل هانتجتون لم يكن يقرأ الغيب ولا يملك أدوات المفكر القادر على استقراء المستقبل بقدر ما كان يروج لمخطط أعد سلفا في أروقة الأجهزة الأمريكية الحاكمة.

الاسم الثالث هو فريد زكريا وهو يكمل ما بدأه زميلاه ولكنه يختار المنطقة العربية تحديدا ويفكر لنا أو بالأحرى عنا ويحدد ما هو الواجب علينا عمله لكي نصبح أتباعا مخلصين للدين الجديد؛ فهو يرسم الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ينبغي أن نتطور إليها وقد يصيب الرجل جزئيا وقد ينصح بأشياء مطلوبة ، ولكن الإطار المنهجي هو الأخطر، والمرجعية يجب أن تكون مرجعية الحرية والنزاهة وهي غربية وليست إسلامية أو عربية مثلا، إن علينا أن نعتنق القيم

الغربية جملة وتفصيلا وأن نصبح جزءا من المجهود العالمي برغم أننا أول الضحايا لهذا المجهود المزعوم – إسرائيل مثلا – والرجل هنا أيضا مجرد مروج لمخططات السادة المسيطرين« تحالف الرأسماليين والعسكر» وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة ما قاله الرجل في حق أنظمة الحكم العربية فإن الهدف ليس إنقاذنا بالضرورة بل إخضاعنا بطريقة منهجية وتحقيق الاستقرار لإسرائيل والقضاء على إمكانية المقاومة مستقبليا.

وإذا حاولنا تأمل المقالات الثلاث بالتفصيل لوجدنا أن هذه المقالات تحمل عددا هائلا من المغالطات المنهجية والمعلوماتية والتحليلية كذلك، وهي تعبر عن طريقة التفكير الأمريكية وتكشف جانبا مهما من المخطط الذي بدأ الترويج له بقوة، فالمقال الأول « العالم المعاصر هدفهم » لفرانسو فوكوياما يكشف العنوان مباشرة عما يريده هؤلاء المروجون للسياسة الأمريكية، هنا محاولة تبرير العدوان المتوقع هنا وهناك، فالإرهاب الإسلامي أو الأصولية الإسلامية هدفها تدمير العالم المعاصر ومنجزات الحضارة والقيم الصحيحة لأن هؤلاء مجرد أشرار يحقدون على المتقدمين ولا يحملون أية رؤية أو برنامج وليسوا محتجين على السياسات الأمريكية أو الإسرائيلية مثلا، إنهم فقط أشرار حاقدون يجب تدميرهم لإنقاذ أهل الخير منهم ، وهذا المفهوم طبعا صار هو الرؤية الرسمية المعتمدة للإدارة الأمريكية، وصار جزءا لا يتجزأ من كلام كتاب وصحفيين وسياسيين بعد ١١ سبتمبر بالتحديد وهذا بالطبع هو العنوان الرئيسي لعصر المغالطات الأمريكية الكبرى التي تتميز بالصفاقة وعمى الألوان، أو حتى العمى الكامل عن الحقائق الموضوعية وهي نوع فريد من تجزئة الحقائق وعدم ربط المقدمات بالنتائج، وهكذا لا بد من القفز على حقيقة وجود ممارسات وأفعال أمريكية وإسرائيلية ربما تكون هي السبب فيما حدث!!

يستمر فوكوياما في مغالطاته، فالأشرار الذين يحقدون على أمريكا، يحقدون أيضا على العالم، إنهم لا يريدون أن تستمر مسيرة الديمقراطية التي كانت قد بدأت تنتشر في كل مكان بالعالم قبل ١١ سبتمبر، ولا يريدون أن تستمر مسيرة العولمة التي قربت البشر من بعضهم البعض، ورفعت الحواجز والقيود وحققت النمو.. و'لمغالطات هنا بالجملة؛ فالديمقراطية المزعومة ليس لها عيون لترى ممارسات إسرائيل وانتهاكها اليومي وعلى مدار الساعة لكل أنواع حقوق الإنسان وكل أنواع الديمقراطية، بل إن إسرائيل نموذج في العنصرية والقمع لم يحدث من قبل، تباركه الدول الديمقراطية الكبرى!! وتدعمه بالمال والسلاح، والعولمة والرخاء المزعوم قبل وبعد ١١ سبتمبر لم يحدث، بل الذي حدث أن العولمة أطاحت بالفقراء وحولتهم من فقراء إلى معدمين، فقد أصبح مئات الملايين لا يعانون فقط من ضعف مستوى الأجور، بل من ضياع فرصة العمل ذاتها، وتحول التقارب المزعوم بين البشر إلى حلبة مصارعة حرة بين قزم وعملاق!!

الغريب .. أن السيد فوكوياما يقول: إن ذلك قد انتهى الآن وضاعت الفرصة، وقد قررت أمريكا أن تطردنا من الجنة، ولا ينسى فوكوياما أن يؤكد أن ضرب أي أحد وكل أحد ممكن إذا كان إرهابيا، أو دعم إرهابيا أو مر عليه ذات يوم إرهابي أو حلم في يوم من الأيام بمقاومة أمريكا وإسرائيل!!

يستمر فوكوياما في مغالطاته، فالحرب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ليست نوعا من تطور طبيعي للعولمة باتجاه العسكرة، حتى تعمل مصانع السلاح التابعة لكبار الرأسماليين، وهذه العسكرة ليست تطورا طبيعيا للرأسمالية الباحثة عن تصريف منتجاتها والتي تلتهم المزيد من الضحايا بنشر الأوبئة والفوضى والحروب في العالم لبيع الأدوية والسلاح والمخدرات، والتي انفصلت حتى عن

أصلها النظري والفلسفي وصارت آلية خاصة مستقلة لا يمكن حتى للقائمين عليها السيطرة على مسارها «عصر ما بعد الحداثة!!» بل هذه الحروب في رأي فوكوياما هي دفاع الخير ضد الشر، هذا الشر الذي يستهدف القيم والنموذج الأمريكي، وهذه القيم الأمريكية هي في رأي فوكوياما قيم عالمية تمثل تطلعات عالمية، وهكذا فإن الذين ضربوا أمريكا، كانوا يريدون القضاء على رخاء وتقدم العالم.

ويعكس فوكوياما جهلا مركبا بالإسلام – أو قل يغالط أيضا رغم معرفته – فالإسلام، كدين لديه مشاكل فلسفية مع الحداثة !! والصحيح أن الإسلام كدين بالفعل لديه مشاكل مع الظلم والهيمنة والقهر وإذلال الإنسان وإفساد البيئة وهيمنة ٢٠٪ من العالم على ٩٠٪ من خيراته ، بينما يعيش الباقي على الفتات لديه مشاكل مع ازدواج المعايير وإبادة الشعوب وإنشاء إسرائيل!!

ليست المشكلة مع التطور، بل هذا التطور تحديدا يحض عليه الإسلام حضا ويعتبره سنة كونية.

ويتعامل فوكوياما مع الحركات الإسلامية بجهل أيضا، فهو يحللها من منظور الأصولية المسيحية، وهي حركات رجعية تكره أمريكا، لأنها متقدمة، وتتمتع بالحرية أو لأنها علمانية أو بها انحلال جنسي أو أنها تكرس التسامح الديني والتعددية ولا تخدم الحقيقة الدينية، وهذا كلام قد يصح بالنسبة إلى اليمين الأمريكي مثلا ولا يصح بالنسبة للحركات الإسلامية خاصة ما كان منها على غرار حزب الله وحماس والجهاد الفلسطيني، فهذه حركات مقاومة وهي مع غيرها من الحركات الإسلامية أيا كان الرأي فيها – حركات احتجاج، احتجاج على الاستبداد وصوت الجنوب ضد الشمال، ولا يمكن فهمها بمنظور علم الاجتماع الغربي أو

الكنسي ، وهي أيضا في قطاع كبير منها تريد التعددية وتعكس التسامح الديني وليس العكس بل هي غير عنصرية تماما.

أما موضوع الحقيقة الدينية ، فهو موضوع يدل على جهل فوكوياما بالإسلام والحركات الإسلامية تماما، بل هو تعبير كنسي أصلا، فالإسلام والإسلاميون والحركات الإسلامية لا علاقة لهم بموضوع الحقيقة الدينية، بل هم يرفعون شعار ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ و« لا إكراه في الكفر» بمعنى أن العالم المعاصر الذي تهيمن عليه أمريكا يدافع بالفعل عن حقيقة دينية هي فرض دين حرية السوق والعولمة على العالم!! وهذا مرفوض بالنسبة للحركات الإسلامية.

المقال الثاني « زمن حروب المسلمين» للكاتب الأمريكي صمويل هانتنجتون يحمل بدوره نفس المغالطات - بل يحمل العنوان أيضا مغالطة، فالحديث عن زمن حروب المسلمين يوحي بأن هناك علاقة ضرورية بين المسلمين والعنف والحرب، وكأن العنف اختراع إسلامي مثلا، وبديهي أن كل الحضارات والشعوب والجماعات أفرزت عنفا، ولكن عنف المسلمين وحروبهم لا يمثل إلا جزءا يسيرا جدا من حروب وعنف الغرب « إبادة شعوب في أمريكا واستراليا – إقامة إسرائيل – الحروب الدينية – حربين عالميتين » بل إن تلك الحروب التي كان المسلمون طرفا فيها كانت بتشجيع من الغرب أو بمؤامرة منه، والحروب التي يتحدث أو يستدل بها هانتنجتون على أنها حروب المسلمين ينطبق عليها هذا بالتحديد.

وبداية ، فإن العنف والقتال والحروب في حد ذاتها ليست شيئا مذموما، فالكفاح والدفاع والنضال ورد العدوان ومنع الظلم وانتزاع الحقوق المشروعة عمل نبيل محمود.

يستدل هانتنجتون على عنف الإسلام والمسلمين برصد الحروب الأخيرة بينهم

وأن خمسا من الدول السبع المدرجة على القائمة الأمريكية للدول التي ترعى الإرهاب من الدول الإسلامية، وكذلك فإن معظم الجماعات المدرجة على القائمة ذاتها جماعات إسلامية، وأن ١١ من أصل ١٦ عملا إرهابيا بين عامي ١٩٨٣ م – ٢٠٠٠ م كان من المسلمين، وأن القوات الأمريكية خاضت ١٧ عملية عسكرية ضد مسلمين منذ عام ١٩٨٠ م – ١٩٩٥ م وأن ٣٢ نزاعا مسلحا كان ٢١ منها بين مسلمين أو كان المسلمون طرفا فيها، وهذا يعني من وجهة نظر صمويل هانتنجتون أن هناك خللا في الإسلام أو مفاهيم المسلمين عنه ، وأنه لا بد من تهذيب المفاهيم الإسلامية وإعادة السيطرة على العالم الإسلامي عسكريا وثقافيا ؛ وإلا فإن حربا عالمية بين المسلمين وأمريكا يمكن أن تقع، وهكذا فإن الرجل الذي روج لمقولة صدام الحضارات ، ومهد بالتالي للحرب الأمريكية ضد الدول الإسلامية – حرب أفغانستان مثلا – هو نفسه يمهد للحرب الأمريكية المتوقعة.. على كل حال فإن حديث هانتنجتون – واستدلالاته الرقمية من عنف المسلمين ربما تكشف في جانب منها عن حيوية الإسلام باعتباره دين المقاومة والجهاد والقادر على تحريك الجماعات ضد النفوذ الأمريكي والعنف الأمريكي، وهذه نقطة إيجابية وليست سلبية.

المقال الثالث بعنوان « كيف يتم إنقاذ الوطن العربي، للكتاب الأمريكي أيضا فريد زكريا، وهو مثل زميليه يمارس المغالطة، ولكنه هذه المرة في أسلوب ذكي، فالعنوان يتحدث عن الإنقاذ ويستخدم مصطلح الوطن العربي وهو مصطلح أثير لدينا نحن العرب، وهكذا فالرجل يبرز نوعا من التعاطف في العنوان والاسم قد يبدو من أصل عربي « فريد زكريا» وربما كان يهوديا، وهو يبدأ المغالطة بالحديث عن الإنقاذ، والصحيح أن يكون إنقاذ الوطن العربي من ممارسات أمريكا وإسرائيل، أمريكا التي تحتل أجزاء من الوطن العربي بقواتها وتضرب العراق وتحاصره

وإسرائيل صنيعة أمريكا التي ضربت الدول والشعوب العربية وحالت دون تحقيق وحدة هذا الوطن العربي، وحالت دون تقدمه وتطوره الاقتصادي والاجتماعي بفرض الحروب وتكاليفها على بلدان هذا الوطن!!

الوصفة الأمريكية هذه المرة على طريقة وصف الذئب العلاج للحملان، أو دعاء الثعلب صفة الطبيب المداوي، والروشتة تحمل قدرا منهجيا عاليا من المغالطة وهي تتحدث عن استبداد وفساد، وهذا صحيح، ولكن من كان وراء هذا أصلا؟!

المهم ، أنه في إطار دغدغة مشاعر المواطن العربي بالحديث عن الإصلاح السياسي والاقتصادي، فالمطلوب .. هو تحقيق هذا الإصلاح ليس بالوحدة مثلا، ولا بدعم المقاومة ضد إسرائيل، ولكن بتبني القيم الأمريكية والغربية، أي مسخ الهوية وتغيير برامج التعليم، والتخلي عن مشروع المقاومة ضد إسرائيل والقبول بالوجود الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة بل وطلبه والتعايش معه، والتغاضي عن ممارسات إسرائيل، والتركيز على تطوير المجتمعات داخليا، وهذا مستحيل مع وجود إسرائيل طبعا، وهكذا ، فالوصفة : هي أمركة وأسرلة المنطقة وليس شيئا آخر، وهكذا فنحن أمام مغالطات أمريكية من كل صنف ونوع، إنه عصر المغالطات الأمريكية الكبرى.

■ ■ ■

obeikan.com